روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

سري جداً!!

٥٢



العدو الخفى

ملف المستقبل • العدو الخفى • ٥٢ • المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة •

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

المؤلف



د. نبيل فاروق

العدو الخفى

- ما سر ذلك البَدِيل الشيطانىّ الذى أوقع بـ(نور) فى هذا الفخ الجَهنمى ؟
- كيف يمكن أن يتحوَّل الصراع إلى (نور) ضدّ (نور) ؟
- تُرى لمن يكون النصر فى النهاية ؟.. لـ(نور) وفريقه ، أم لـ(العدو الخفى) ؟
- اقرإ التفاصيل المثيرة ؛ واشترك مع (نور) فى حلِّ اللُّغز .

٥٢



الثمن فى مصر

وما يعادل دولاراً أمريكيا فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : أمطار الموت



نور الدين



سلوى



رمزى



محمود

١ ـــ التحقيق ..

ساد الصمت والسكون تمامًا ، فى ردهات مبنى إدارة المخابرات العلمية المصرية ، فى ذلك الصباح الدافئ ، من ربيع عام ألفين وثمانية ، وبدت ممرّات المبنى خالية ، إلّا من أجهزة الفحص الأمنى والمراقبة ، وشمل السكون الطوابق الأربعة ، التى تختفى تحت مستوى الأرض ، حتى بدا وكأن إدارة المخابرات العلمية قد خلت من العاملين بها ..

أما فى حجرات المبنى ، فقد كان الأمر يختلف ..

كان هناك نشاط عجيب مثير للدهشة والإعجاب ، تموج به الحجرات والقاعات ، تحول الجدران العازلة للصوت بينه وبين التسلّل إلى الممرّات والردهات ..

وفى الطابق الذى يطلقون عليه اسم (الرابع سلبى) ، والذى يقع على عمق ستة عشر مترًا فى باطن الأرض ، جلس حارس أمن المبنى (عادل) ، فوق مقعد غير تقليدىّ ، معدّ بحيث يحتوى الجالس فوق تمامًا ، وهو مزوَّد بأجهزة فائقة الدقة والحساسية ، تسجّل وتنقل كل انفعالات الجالس ، وكل التغيرات ـــ مهما بلغت ضآلتها ـــ فى نبضه ، وضغط دمه ، ومعدّل إفراز العرق من جسده ، وحتى ارتجافات سطح جلده الخارجى ..

كان باختصار أحدث جهاز لكشف الكذب ..

وكانت الحجرة هى حجرة التحقيقات فى إدارة المخابرات العلمية ..

وكان (عادل) يجلس على المقعد صامتًا ، مترقّبًا ، وهو يعلم أن عدسة خاصّة تنقل صورة وجهه ، مكبّرة عشرات المرّات ، إلى الحجرة الجانبية ، حيث يجلس طاقم التحقيقات ، ليلقى عليه أسئلته ، ويراقب انفعالات وجهه فى اهتمام وإمعان ..

وفجأة انبعث صوت قوىّ عميق ، عَبْرَ العشرات من أجهزة نقل الأصوات ، فى جميع أنحاء الحجرة ، يقول فى صرامة :

ـ اسمك ومهنتك ؟

ازدرد (عادل) لعابه ، وأجاب فى هدوء :

ـ (عادل عبد المجيد) ، أحمل رتبة رقيب أوّل ، وكنت أعمل كرجل أمن للمبنى ، حتى أمس الأوّل .

ـ ماذا تعرف عن حادث سرقة أسطوانات الكمبيوتر السرّيّة ؟

ـ كنت قد تسلّمت نوْبة حراسة ، أمس الأوّل ، عندما

وصل إلى المبنى الرائد (نور الدين محمود) ، فقمت بالتأكّد من شخصيته ، بواسطة أجهزة الفحص الأمنى الإليكترونية ، ولمّا جاءت نتيجة الفحص إيجابية ، سمحت له بالدخول ، وبعد ساعة تقريبًا غادر المبنى ، وبينما كنت أودّعه ، لمحت واحدة من تلك الأسطوانات السرّيّة تبرز من جيب سترته ، فأردت تنبيهه إلى أن خروج تلك الأسطوانات من المبنى ممنوع تمامًا ، إلّا أنه هدّدنى بمسدّسه الليزرىّ ، فما كان منى إلّا أن حاولت الدفاع عن نفسى ، فأصابنى بطلقة ليزر فى كتفى ، ولاذ بالفرار فى سيّارة صاروخية ، كانت تنتظره على مقربة من المبنى (*) .

ـ منذ متى وأنت تعمل فى حراسة المبنى ؟

ـ منذ خمس سنوات تقريبًا .

ـ هل سبق أن أخطأت أجهزة الفحص الأمنى ؟

ـ لا ..

ـ هذا يكفى .

غادر (عادل) مقعد كشف الكذب ، وأسرع الخطا مغادرًا الحجرة ، وهو يشعر بالارتياح ؛ لأن استجوابه قد

(*) لمزيد من التفاصيل راجع الجزء الأوّل (الخلية القاتلة) .. المغامرة رقم (٥١) .

انتهى ، فعلى الرغم من أنه لم يكن هناك ما يدينه فى الأمر ، إلّا أن مجرّد وجوده فى حجرة التحقيقات كان يورثه العصبية والقلق ..

ولم يكد (عادل) يغلق باب الحجرة خلفه ، حتى دخلت إليها (سلوى) من باب جانبى ، واستقرّت بدورها فوق المقعد ، حيث ارتفع صوت المحقّق ، وهو يقول :

ــ اسمك ومهنتك ؟

ــ (سلوى) .. مهندسة ، وخبيرة فى الاتصالات والتتبّع ، وعضوة فى فريق المخابرات العلمية ، الذى يرأسه زوجى (نور) ، المتهم (ظلمًا) بالخيانة .

ــ ماذا تعلمين عن حادث سرقة الأسطوانات السرّيّة ؟

ــ لست أعلم إلّا ما ذكرتموه .

ــ هل غادر زوجك (نور) المنزل وحده ، فى الموعد الذى ارتكبت فيه حادثة السرقة ؟

ــ نعم .. ولكنه لم ...

ــ أين ذهب حينذاك ؟

ــ إلى مكتب البريد الآلى ..

ــ هل يمكنك إثبات ذلك ؟

ــ لا بالطبع .. لقد ذهب وحده .. ولكن ..

ــ هل تعلمين أين ولماذا اختفى والد (نور) ، على الرغم من ضرورة حضوره للإدلاء بشهادته ؟

ــ لا ، ولكننى أظن أنه قد ذهب إلى مستشفى (أسيوط) العام .

ــ لماذا ؟

ــ قبل حادث سرقة الأسطوانات السرّيّة بأسبوعين ، وفى أثناء عودتى مع زوجى (نور) من عرض مسرحى فى معبد (الكرنك) ، اعترضت طريق سيارتنا الصاروخية فجأة فتاة مجهولة ، وعندما حاول (نور) تفاديها ، وقع لسيارتنا حادث ، كاد (نور) يلقى مصرعه بسببه ، لولا أن أنقذه جرّاح وعالم مصرى ، يعمل فى مستشفى (أسيوط) العام ، ويدعى الدكتور (منصور) ، أجرى لزوجى جراحة ميكروسكوبية عاجلة فى مستشفى (أسيوط) .

ــ وما علاقة ذلك باختفاء والد (نور) ؟

ــ إن والد (نور) يمتلك نفس موهبة ابنه فى الاستنتاج والفراسة ، أو أن (نور) قد ورث موهبته عن ابيه .. المهم أن والد (نور) قد استنتج أن الحادث كان محاولة متعمّدة



واتخذ مكانه فوق مقعد كشف الكذب ، حيث ارتفع صوت المحقق يسأله ، بعد أن تحقّق من اسمه ومهنته

للقتل ، نظرًا لوصول الدكتور (منصور) بعد لحظات من الحادث ، واختفاء الفتاة ، ولقد قام بعملية بحث بارعة ، أثبت خلالها أن الفتاة لم تكن سوى صورة هولوجرافية مجسّمة ، تمّ بثّها عبْر خلية ليزريّة خاصّة ، وأعتقد أنه قد شكّ فى أن تكون للدكتور (منصور) علاقة بما حدث بعد ذلك ، من اتهام (نور) بالخيانة ، فذهب إليه ، وهناك اختفى .

– هل يوجد دليل على ذلك ؟

– لا ..

– شكرًا .. هذا يكفِى .

غادرت (سلوى) الحجرة ، حيث ولجها (محمود) ، واتّخذ مكانه فوق مقعد كشف الكذب ، حيث ارتفع صوت المحقق يسأله ، بعد أن تحقّق من اسمه ومهنته :

– أتظن أن الرائد (نور) قد ارتكب حادثة السرقة أم لا ؟

– بالطبع لا ، فلقد عملت تحت قيادة (نور) طوال خمس سنوات ، وأستطيع أن أجزم بأنه أكثر من عرفت حبًّا لوطنه ، وإخلاصًا له ، ورجل مثل هذا لا يخون أبدًا .

– مَا تفسيرك لما حدث إذن ؟

– لقد وضع (نور) بعض الاحتمالات ، وهو يحاول تفسير

ذلك .. منها مثلاً أن شخصًا ما ينتحل شخصيته ، وأنه قد أبدل بطاقته الإلكترونية الخاصة ، من أرشيف أجهزة الفحص الأمنى ببطاقة أخرى ، مكّنته من الدخول إلى الإدارة .

ــ هل تعلم أن ذلك مستحيل ؟

ــ أعترف بأننا قد أجرينا محاولة للتأكد من ذلك ــ على الرغم من مخالفتها للقانون ــ ولكن المحاولة قد أسفرت عن أن ذلك لم يحدث .

ــ وما التفسيرات الأخرى ، التى وضعها (نور) ؟

ــ لقد تصوَّر أن يكون الدكتور (منصور) قد زرع فى مخّه جهازًا خاصًا ، يجعله يفعل أى شىء دون أن يدرى ، كما لو كان مجرَّد دُمْيَة إليكترونية .

ــ وهل تعتقد أن هذا صحيح ؟

ــ لا .. فلقد قمنا بفحص مخه بأشعة (رونتجن) ، بعد تكبير الصورة عشرات المرّات ، دون أن نعثر على أية أجهزة .

ــ شكرًا .. هذا يكفى .

جاء دور (رمزى) هذه المرة ، ليجلس على مقعد كشف الكذب ، ويدلى باسمه ومهنته ، ويجيب عن بعض الأسئلة التقليدية ، قبل أن يسأله المحقق :

ــ هل يمكن أن يرتكب الرائد (نور) حادث السرقة ، دون أن يدرى أنه قد فعل ذلك ؟ ؟

ــ كخبير فى الطب النفسىّ أجيب بنعم .

ــ ولماذا كخبير فى الطبّ النفسىّ ؟

ــ لأن تحليل لحالة (نور) هو أنه مصاب بانفصام الشخصية ، إثر ذلك الحادث الذى تعرَّض له منذ أكثر من أسبوعين ، مما حوَّله إلى شخصيتين متناقضتين فى جسد واحد ، إحداهما هى (نور) الذى نعرفه ، والأخرى على نقيضها تمامًا .

ــ هل لديك ما يثبت ذلك ؟

ــ تاريخ (نور) الحافل بالبطولات .

ــ فقط ؟

ــ هناك واقعة أخرى .. فقد تصوَّر (نور) أن شخصًا ما قد هاجمه فى معمل الدكتور (حجازى) ، حيث كان يختبئ ، وأن ذلك الشخص قد طعنه بِمُدْيَة ، ثم ألقاها داخل المعمل ، بعد أن جرح نفسه أيضًا ، وطلب منا (نور) رفع البصمات عن المُدْيَة ، وتحليل دماء ذلك الشخص ، حتى يثبت براءته من الإصابة بانفصام الشخصية ، ولكنه قال فى الوقت ذاته إنَّ ذلك الشخص كان نسخة طبق الأصل منه هو .

ـ وكيف جاءت نتيجة رفع البصمات ، وتحليل الدم ؟

صمت (رمزى) إزاء هذا السؤال ، ونقل مقعد كشف الكذب توتُّره وتردُّده ، فعاد المحقّق يسأله فى صرامة :

ـ كيف جاءت النتيجة ؟

زفر (رمزى) فى ضيق ، قبل أن يقول :

ـ لقد كانت البصمات لـ (نور) ، والدماء دماؤه .

ثم أسرع يستدرك :

ـ ولكنَّ للدكتور (حجازى) رأيًا آخر .

جاء صوت المحقّق صارمًا ، وهو يقول :

ـ وما تفسير ذلك فى رأيك ؟

ـ لقد كنت أعتقد أن حالة انفصام الشخصية ، التى يعانيها (نور) قد جعلته يتصوَّر وجود عدوّ خفى ، يقاتله بوجهه هو ، ولكن الدكتور (حجازى) ..

قاطعه المحقّق فى صوت بارد كالثلج ، صارم كالفولاذ :

ـ شكرًا .. هذا يكفى .

عقد (رمزى) حاجبيه فى ضيق ، إلّا أنه غادر مقعده ، واتجه إلى خارج الحجرة ، دون أن يضيف حرفًا

واحدًا ، ودخل الدكتور (حجازى) ، من الباب الجانبى الآخر ، معقود الحاجبين ، واضح الصرامة والعناد ، واتخذ مجلسه فوق المقعد فى حركة حادَّة ، ولم يكد صوت المحقِّق ينبعث ، ليسأله عن اسمه ومهنته ، حتى قال فى خشونة :

ـ الدكتور (محمد حجازى محمد) .. كبير الأطباء الشرعيين فى جمهورية مصر العربية ، ولست أرغب فى الإجابة عن أسئلتكم اليوم .

ـ هل تعلم أنك متَّهم بإخفاء ضابط خائن و .. ؟

ـ ألق القبض علىَّ ، أو دعنى أعُد لمواصلة عملى .

ـ البيانات الرسمية تقول إن جدول أعمالك خال اليوم .

ـ إنها أعمال خاصّة .

ـ وهل تمنعك تلك الأعمال الخاصّة من الإجابة عن الأسئلة ؟

ـ نعم ..

ـ لماذا ؟

ـ لأننى أعمل لإثبات براءة (نور) .

ـ هل تؤمن بذلك حقًّا ؟

ـ تمام الإيمان .

ثم غادر المقعد بحركة حادَّة ، واتجه نحو باب الحجرة ، وهو يقول فى حَنَق :

ــ وسأطالبكم جميعًا بالاعتذار لـ (نور) ، على شاشات صحف الفيديو ، حينما أثبت أنه برىء .. هل تسمعون ؟ .. إن (نور) برئ .

وأغلق الباب خلفه فى قوَّة ..

★ ★ ★



٢ ــ البحث عن أوَّل الخيط ..

« لم ينطق أحدهم بغير الصِّدق يا سيِّدى » .

نقل جهاز التليفيديو ، إلى مكتب القائد العام للمخابرات العلمية المصرية ، صورة وصوت المحقِّق ، وهو ينطق هذه العبارة ، فعقد القائد الأعلى حاجبيه ، وهو يقول :

ــ ولكن أقوالهم تدين (نور) ، حتى ولو كان مصابًا بانفصام الشخصية .

أجاب المحقِّق فى هدوء :

ــ لو نجح الطبيب النفسى (رمزى) فى إثبات ذلك ، فسيخفف هذا من عقوبة الرائد (نور) ولاشك ياسيِّدى .

مطَّ القائد الأعلى شفتيه فى أسف ، وهو يقول :

ــ بالنسبة لشابّ مثل (نور) فأية عقوبة تعنى الفناء يا بُنَىّ .

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد فى اهتمام بالغ :

ــ وماذا عن الدكتور (محمد حجازى) ؟ .. لماذا رفض الإدلاء بأقواله ؟

هزَّ المحقق رأسه ، وقال :

ـــ لا أحد يدرى يا سيِّدى ، ولكنه متهم بإخفاء هارب من العدالة ، وسنراقب منزله ومعمله الخاص ، و ..

قاطعه القائد الأعلى :

ـــ لا .. لا تفعل بالله عليك .

ارتسمت الدهشة على وجه المحقِّق ، فى حين استطرد القائد الأعلى فى حزن :

ـــ لقد قررَّت أجهزة الفحص أن الدكتور (حجازى) كان غاضبًا ، ولكنه لم يكن مضطربًا أو خائفًا ، وهذا يعنى أنه ـــ مادام قد رفض الإدلاء بأقواله ـــ فهو يملك ما قد يمكّنه من إثبات براءة (نور) ، ولا ينبغى أن نعوقه عن ذلك .

هتف المحقق فى استنكار :

ـــ براءة الرائد (نور) ؟! .. مستحيل يا سيِّدى ! كل الأدلة والبراهين تؤكّد أنّه ..

قاطعه القائد الأعلى فى صرامة :

ـــ الأمر لم ينته بعد أيها المحقق .. ولو أن الأمور قد اتخذت نفس المنهج ، الذى تتخذه فى كل عملية تخص الرائد (نور الدين) ، فثق أن النهاية ستحمل لنا مفاجأة .

واكتسب صوته ثقة شديدة ، وهو يُردِف فى حزم :

ـــ مفاجأة مُذْهِلة ..

★ ★ ★

اجتمع أفراد فريق (نور) ، بلا قائدهم ، فى معمل الدكتور (حجازى) الخاصّ ، يراقبونه وهو ينهمك فى إجراء بعض الفحوص والتحاليل فى اهتمام بالغ ، قبل أن تسأله (سلوى) فى توتُّر :

ـــ عمّ تبحث بالضبط يا دكتور (حجازى) ؟

أجابها الدكتور (حجازى) ، وهو يواصل فحوصه :

ـــ بعد أن اصطحب رجال المخابرات العلمية (نور) من هنا ، عثرنا ـــ أنا و (رمزى) ـــ على كُومَة من الضّمادات ، فى ركن من المعمل ، توحى بأنها كانت تخفى وجه شخص ما يا (سلوى) ، ولمَّا لم يكن (نور) يحمل هذه الضّمادات ، حينما أتى إلى هنا ، ولمّا كنت واثقًا من أنها لا تنتمى إلى معملى بأىّ حال من الأحوال ، فقد وجدت نفسى أميل إلى تصديق قصة (نور) ، عن ذلك الشخص الذى يشبهه تمامًا ، والذى هاجمه هنا ، وهذا يعنى أن ذلك العدوّ الخفىّ ، قد نجح بوسيلة

ما فى خداعنا جميعًا ، وإقناعنا بأن (نور) يعانى انفصامًا فى شخصيته ، حتى نكون وسيلة من وسائله ؛ لإثبات إدانة (نور) بتهمة الخيانة .

هتفت (سلوى) فى أمل :

ــ وهل تفحص الأربطة ؟

رفع عينيه عن مجهر الفحص ، والتفت إليها قائلاً فى هدوء :

ــ بل أفحص الأتربة التى تحيط بمسكنى يا بنيَّتى .

ارتسمت الدهشة فى عينيها ، على حين أسرع (محمود) يسأله :

ــ وبم يفيد ذلك يا سيِّدى ؟

عقد الدكتور (حجازى) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ لو تعمَّقت فى دراسة الأمر ، مثلما أفعل أنا منذ أكثر من ثلاثين عامًا ، لعلمت أن الأتربة تختلف من مكان إلى مكان آخر يا ولدى ، فهى تتأثَّر بالبيئة المحيطة بها ، وهذا يعنى أن الأتربة فى المناطق السياحية ، تختلف عنها فى المناطق الجبليّة ، وأيضًا عنها فى المدن ، أو المناطق الزراعيّة ، ولمَّا كان كل من

ولج معملى ، ومسكنى فى الأيام الأخيرة من سكَّان المدن ، فمن الضرورة أن تنتمى كل الأتربة لنوع أتربة المدن ، أمَّا لو ..

قاطعه (رمزى) فى توتُّر :

ــ لا ريب أنك لا تدرك خطورة ما تفعله يا سيِّدى ، فالأمل الوحيد فى نجاة (نور) من حكم الإعدام بتهمة الخيانة ، هو إثبات أنه مصاب بانفصام شخصية كامل ، أمَّا لو أثبتنا العكس ، فسيعنى هذا اعدامه .

أجابه الدكتور (حجازى) فى صرامة :

ــ إننى لا أسعى خلف هذا أو ذاك يا (رمزى) .. إن هدفى الوحيد هو تبرئة (نور) .. تبرئته تمامًا ..

★ ★ ★

حدَّق والد (نور) طويلاً فى وجه ذلك الشابّ ، الذى هو نسخة طبق الأصل من ولده (نور) ، والذى جلس على مقربة منه ، يبتسم فى ثقة وغرور ، ثم نقل بصره إلى الطبيب الشاب ، مساعد الدكتور (منصور) ، واختنقت الكلمات وتلعثمت فى حلقه ، قبل أن يهتف فى مزيج من الذهول والاستنكار :

— ولكنّ ما تقوله مستحيل !! إن عقلى يرفض تصديقه !
ابتسم مساعد الدكتور (منصور) فى سخرية ، وهو يقول :

— كل المنجزات العلمية بدت مستحيلة ، وخارقة للمألوف ، حينما ظهرت للمرة الأولى أيها الرجل ، ولا تنس أن الاستنكار نفسه قد واجه هندسة الوراثة ، حينما برزت تجاربهم الأولى إلى الوجود ، ثم إن ما أخبرتك عنه ليس كشفًا علميًّا حديثًا .. إن العلماء يجرون تجاربهم عليه منذ عام ألف وتسعمائة وثمانين ، ولكن الدكتور (منصور) وحده نجح فى تحقيقه ، على النحو الذى يحلم به العلماء منذ ثمانية وعشرين عامًا .

عاد والد (نور) يدير عينيه إلى شبيه ابنه ، ويحدّق فى وجهه فى ذهول ، قبل أن يغمغم وقد بلغت حَيْرته ذِرْوتها :
— مستحيل !! مستحيل !!
أطلق شبيه (نور) ضحكة ساخرة ، قبل أن يميل نحو والد هذا الأخير ، قائلاً فى تحدّ :
— هذا ما سيردّده الجميع أيها الوالد العزيز ، وأنا واثق أن هذا ما ردّدوه ، حينما رفعوا البصمات عن مقبض المُدْية ، وحللوا قطرات الدم ، فوجدوا أنها كلها لـ (نور) .

جاوبه مساعد الدكتور (منصور) بضحكة أخرى ساخرة ، وهو يقول :
— ومن الطريف أن هذه هى الحقيقة بالفعل .
صاح والد (نور) فى غضب وسخط :
— أيها المجرمون .. إن يد العدالة ستنالكم حتمًا .
اتسعت ابتسامة شبيه (نور) الساخرة ، وهو يقول :
— كَفَى مكابرة أيها الوالد العزيز .. أنت تعلم مثلنا ، بعد ما سمعته ، أن النهاية ستكون من نصيب ولدك الحبيب .. صدّقنى .. لقد انتهى عهد الرائد (نور) ، وبدأ عهدى أنا .

* * *

زفر الدكتور (حجازى) زفرة ارتياح قويّة ، خفقت لها قلوب أفراد الفريق ، وهتفت به (سلوى) فى انفعال شديد :
— هل عثرت على ما تبحث عنه يا سيّدى ؟
ضرب بقبضته سطح مائدة الفحص ، وهو يقول فى حزم :
— نعم يا بنيتى .. لقد زايلنى كلُّ شك فى براءة (نور) .
وقبل أن يسأله أحدهم عن مبعث ثقته الشديدة ، أسرع يستطرد فى حماس :

— لقد عثرت فى معملى ، وحول منزلى ، على أتربة تعود إلى منطقة جبلية .. أتربة حديثة .. ولمّا كان نور قد غادر مستشفى (أسيوط) منذ أسبوع كامل ، فهذا يعنى أن شخصًا ما ، يقيم فى منطقة جبلية ، قد تسلّل إلى معملى ، وهاجم (نور) بالفعل ..

شحب وجه (رمزى) ، وهو يهتف :

— يا إلهى !! .. هذا يعنى ..

قاطعه الدكتور (حجازى) فى صرامة :

— نعم يا (رمزى) .. هذا يعنى أن (نور) برىء من تهمة الخيانة ، براءة الذئب من دم ابن (يعقوب) .

هتفت (سلوى) ، وقد أورثها الانفعال ارتباكًا شديدًا :

— ولكن .. ولكن كيف ؟ .. أجهزة الفحص ، وتحليل الدم .. والبصمات و ..

قاطعها الدكتور (حجازى) فى حزم :

— مهمتنا أن نثبت خطأ كل هذا يا (سلوى) .

وعقد حاجبيه ، وهو يستطرد فى صرامة وقوّة :

— ولن يتخلى الفريق عن قائده أبدًا .. أبدًا .

★ ★ ★

٣ — وبرقت عيناه ..

جلس الرائد (نور) فى ركن زنزانته الخاصة ، فى الطابق الأوّل من إدارة المخابرات العلمية صامتًا ، يفكّر للمرّة الألف فيما أصابه ، ويحاول للمرّة الألف العثور على تفسير منطقى لكل ذلك ..

كانت كل الأدلّة والبراهين تؤكّد نظرية (رمزى) ، التى تدور حول إصابته بانفصام شخصية كامل ، ولقد مال هو نفسه لتصديق هذه النظريّة ، والإيمان بها ، لولا أن جزءًا ما من عقله كان يرفض هذا التفسير فى شدّة ، على الرغم من قوّته وتأكيده ..

كان هذا الجزء من عقله الذى يعانده ويقاومه دوْمًا ، كلّما واجهه لغز غامض ، ولم يكن هذا الجزء ليهدأ أو يستقر ، إلّا حينما يعثر على التفسير الصحيح ، الذى يربط كل الأحداث بخيط واحد ، وإصراره على الأرق والعمل لا يعنى لـ (نور) إلّا أمرًا واحدًا ..

أن اللغز لم يحلّ بَعْدُ ..

وتطلّع (نور) إلى أنحاء زنزانته فى شرود ، وعقله مازال يفكّر ويفكّر ..

كانت زنزانته من نوع خاص ، مزوّدة بثلاث كاميرات هولوجرافيّة ، تتيح لقسم المراقبة متابعة كل سكناته وحركاته طوال الوقت ، إلّا حينما تزوره زوجته ، فالقانون يكفل له حرّية الحديث معها فى أمور شخصية ، ويمنع مراقبة حديثهما ..

أمّا قضبان الزنزانة ، فلم تكن من الصلب أو الفولاذ ، وإنما كانت عبارة عن خيوط شبكية متقاطعة من أشعة الليزر القاتلة ، يستحيل اختراقها ، دون أن تمزّق من يحاول ذلك إربًا ..

كانت زنزانته حديثة ، من ذلك النوع الذى يستحيل الفرار منه تمامًا ..

قطع شروده وتفكيره صوت الحارس الخاصّ لزنزانته ، وهو يقول فى صرامة :

ــ لقد أتت زوجتك لزيارتك .

رفع عينيه فى لهفة ، ليتطلّع إلى وجه زوجته (سلوى) ، التى منحته بدورها نظرة تمتلئ باللهفة والحب ، قبل أن يقول لها الحارس فى صرامة :

ــ لديك ربع ساعة كاملة يا سيدتى .. سأغادر المكان طوال الزيارة ، ولكن حذارِ .. فالقانون يقضى بإيقاف المراقبة طيلة الزيارة ، ولكننا نقوم بتفتيش المكان فى دقّة بعدها .

أجابته فى برود :

ــ أعلم ذلك .. ولتعلم أنك تضيع بعض الدقائق الثمينة من زيارتى لزوجى .

عقد الحارس حاجبيه فى ضيق ، إلّا أنه ضغط زرًّا صغيرًا ، مجاورًا للزنزانة ، فتوقّفت على الفور خيوط الليزر ، وخطت (سلوى) داخل الزنزانة ، وعادت خيوط الليزر تغلقها من جديد ، ووقفت (سلوى) صامتة ساكنة ، حتى ابتعد الحارس ، ثم ألقت بجسدها بين ذراعى زوجها ، وهى تهتف فى لوعة :

ــ كيف حالك يا (نور) ؟ .. كيف حالك يا زوجى الحبيب ؟

ضمّها (نور) إلى صدره فى حنان ، ومسح على شعرها فى رفق ، وهو يغمغم :

ــ إننى أشعر بأننى فى خير حال ، حينما أراك يا عزيزتى .

رفعت وجهها إليه ، وهى تهتف فى لهفة :

ــ (نور) .. إننى أحمل لك أخبارًا طيبة .

ابتسم فى حزن ، وهو يسألها :

ــ هل صدر قرار بالإفراج عنى ؟

هتفت :

ـ لا يا (نور) ، ولكن الدكتور (حجازى) قد أثبت ، بما لا يدع مجالاً للشك ، أن شخصًا ما قد هاجمك بالفعل فى معمله .

اتسعت عينا (نور) فى دهشة وانفعال ، وأمسك كتفى زوجته فى قوّة ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى !! .. إذن فأنا لست ..

قاطعه فى سعادة ولهفة :

ـ نعم يا (نور) إنك لست مصابًا بانفصام الشخصية ..

إزداد اتساع عينى (نور) ، وهو يحدّق فى وجهها ، ثم تخلّى عن كتفها ، وعقد حاجبيه فى شدة ، وهو يغمغم وكأنه يحدّث نفسه :

ـ ولكن تحليل الدم وفحص البصمات وبطاقتى الإليكترونية و ..

بتر عبارته ، ولاحت فى ملامحه علامات التفكير العميق ، وران الصمت تمامًا على جوّ الزنزانة ، واحترمت (سلوى) صمت (نور) ، فلاذت بالصمت بدوْرها ، وإن لم يمنعها هذا من التطلّع إليه فى لهفة وأمل ، حتى رفع عينيه إليها ، يسألها فى اهتمام شديد ، وقد استعاد صوته قوّته وصلابته :

ـ هل أخبرك والدى بكل التفاصيل ، التى حدثت فى مكتب الدكتور (منصور) ، حينما ذهب ليسأله عن الحادث ؟

أرادت (سلوى) أن تخبره باختفاء والده ، إلّا أنها رأت أن الوقت والظروف لا يناسبان ذلك ، فأجابت فى اقتضاب :

ـ نعم يا (نور) .

تألّقت اللهفة فى عينيه ، وهو يقول :

ـ حسنًا .. أريد منك أن تخبرينى بكل التفاصيل يا (سلوى) .. كلها .. حتى ما بدا منها تافهًا لا يستحق الذكر .. كلها يا (سلوى) .

ارتسمت الدهشة فى عينيها ووجهها ، إلّا أنها أجابته فى اهتمام :

ـ حسنًا يا (نور) .. سأخبرك .. سأخبرك بكل التفاصيل .

★ ★ ★

بدا صوت (محمود) مفعمًا بالانفعال واللهفة والقلق ، وهو يسأل الدكتور (حجازى) :

ـ هل تظن أن (نور) سيتوصّل إلى شىء ما ، حينما تخبره (سلوى) بما توصّلت إليه يادكتور (حجازى) ؟

قلّب الدكتور (حجازى) كفيه ، وهو يقول فى خفوت :
ـــ لست أدرى يا ولدى ، ولكنّ هذا سيُزيل من نفسه كل التوتُّر والإحباط ، اللذين يشعر بهما ، وسيدفعان عقله للعمل فى صورة هادئة ، وأنت تعلم مدى عبقريّة (نور) فى مثل هذه الأمور .
أومأ (محمود) برأسه موافقًا ، وهو يغمغم :
ـــ نعم .. أعلم ذلك .
ساد الصمت لحظة ، ثم التفت الدكتور (حجازى) إلى (رمزى) ، الذى انتحى ركنًا جانبيًا ، وبدا مهمومًا حزينًا ، وسأله فى اشتياق :
ـــ ماذا بك يا (رمزى) ؟
رفع إليه (رمزى) عينين يطلُّ منهما حزن عميق ، وبدا صوته أقرب إلى البكاء ، وهو يقول :
ـــ هل سبق لك يومًا يا سيِّدى ، أن شعرت أن خبرتك ودراستك ، قد قادتاك إلى ارتكاب خطإٍ قاتل ؟
فهم الدكتور (حجازى) ما يعنيه (رمزى) ، فغمغم فى تعاطف :
ـــ كلنا نخطئ يا ولدى .. العِصْمَةُ لله ـــ عزَّ وجلَّ ـــ وحده .

أطرق (رمزى) بوجهه ، وهو يقول فى حزن :
ـــ ولكنَّ الخطأ الذى ارتكبته أنا كان بشعًا يا سيِّدى .. لقد أدنت (نور) ، ووصمته بالخيانة ، وأنا أتصوَّر نفسى أحاول حمايته .
ران الصمت طويلاً فى الحجرة ، قبل أن يغمغم الدكتور (حجازى) فى حنان ورفق :
ـــ لا تقسُ على نفسك يا ولدى .. كلنا بشر ، المهم أن نعمل كلنا الآن لإثبات براءة (نور) .
سأله (رمزى) فى مرارة :
ـــ هل تظن ذلك ممكنًا يا سيِّدى ؟
تنهَّد الدكتور (حجازى) ، قبل أن يقول فى هدوء :
ـــ كل شىء ممكن يا ولدى .. كل شىء ممكن :

★ ★ ★

استمع (نور) إلى قصة (سلوى) فى اهتمام ، ثم عقد حاجبيه ، وهو يغمغم :
ـــ من العجيب أنكم قد أغفلتم نقطة هامَّة يا (سلوى) ، حينما قصصتم علىَّ القصة فى المرة الأولى !

سألته فى قلق وفضول :

ــ ما هى يا (نور) ؟

لوّح بكفه ، وهو يقول :

ــ ذلك الصندوق الزجاجى ، الذى يحوى جروين متطابقين تمامًا ، ألا تجدين تشابهًا بينهما ، وبين موقفى .

غمغمَت فى مزيج من الدهشة والحَيْرة :

ــ تشابهًا ؟!

أجابها فى اهتمام :

ــ نعم يا (سلوى) .. أنا أيضًا أواجه عدوًّا خفيًّا ، يطابقنى فى كل شىء ، كما لو كان ..

بتر عبارته فجأة ، وبرقت عيناه على نحو مألوف ، جعل (سلوى) تقفز من مقعدها ، وهى تهتف فى انفعال بلغ ذِرْوَته :

ــ (نور) .. لقد توصّلت إلى الحلّ ، أليس كذلك ؟ .. لقد عثرت على دليل براءتك .

وبرقت عينا (نور) ببريق العزم والثقة ، وهو يقول :

ــ بلى يا (سلوى) ، ولكن من المستحيل إثبات ذلك ، ما لم ..



بتر عبارته فجأة ، وبرقت عيناه على نحو مألوف ، جعل (سلوى) تقفز من مقعدها

قاطعته فى لهفة :

ــ ما لم ماذا ؟

ارتسمت على شفتيه ابتسامة غامضة ، وهو يجيب فى هدوء :

ــ ما لم يعاوننى الفريق كله على الفرار من هنا ..

★ ★ ★



٤ ــ خطة العصر ..

« الفرار ؟! »

هتف الدكتور (حجازى) بهذه الكلمة ، فى لهجة تحمل من الجزع والدهشة والاستنكار قدرًا كبيرًا ، قبل أن يستطرد فى توتر :

ــ إن الفرار من هناك أقرب إلى المستحيل ، بل هو المستحيل نفسه ! .. فحتى لو نجح فى الفرار من زنزانته الإلكترونية ، فكيف ينجح فى الفرار من إدارة المخابرات العلمية نفسها ، حيث تبلغ وسائل الأمن ذِرْوَتها .

عقدت (سلوى) حاجبيها ، وهى تقول فى صرامة :

ــ علينا أن نبذل أقصى جهدنا لجعل ذلك ممكنًا يا سيِّدى .

أراد الدكتور (حجازى) أن يعترض مرَّة أخرى ، إلَّا أن (رمزى) أسرع يسأل (سلوى) فى اهتمام :

ــ لم يخبرك (نور) بما توصَّل إليه ؟

ظهر الضيق على وجهها ، وهى تقول فى عصبية :

ــ كلَّا .. إنك تعرف طبيعة (نور) .. إنه يفضِّل الاحتفاظ بما يدور فى عقله حتى النهاية .

عاد يسألها فى توتُّر :

ـ ألم يشر إليه مطلقًا ؟

هزّت رأسها نفيًا فى حنق ، ثم أسرعت تستدرك قائلة :

ـ إنه كان يتحدّث عن تجارب الدكتور (منصور) السِّرّيّة ، عندما توصّل فجأة إلى الحل .

هتف (محمود) :

ـ إذن فالدكتور (منصور) مسئول عمّا حدث ، على نحو أو آخر ، وهذا يتّفق مع اختفاء والد (نور) ، بعد ذهابه إليه .

ثم أردف فى سخط :

ـ لماذا لا يجبره رجال الشرطة على الإفصاح عن طبيعة تجاربه السِّرّيّة ؟ .. قد يعاوننا هذا على التوصّل إلى حلّ اللغز ، مثلما فعل (نور) .

أجابه الدكتور (حجازى) فى ضيق :

ـ هذا مستحيل يا ولدى ، فقانون حرّية البحث العلمى ، الذى صدر عام ألف وتسعمائة وخمسة وتسعين ، يمنحه حقّ الحفاظ على سرّية تجاربه ، مادام يجريها فى معمل رسمىّ ، ويقرُّ بأنها تسعى للصالح العام ، ولابدّ من حصولنا أوّلاً على دليل يُدين هذه التجارب ، وإلّا فلن يمكننا إجباره على الإفصاح عن طبيعتها أبدًا .

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يقول فى ضيق :

ـ أظن أن هذا أقل صعوبة من معاونة (نور) على الفرار .

غمغم الدكتور (حجازى) فى ضيق :

ـ ما زلت أصرّ على أن هذا مستحيل !!

ارتسمت ابتسامة غامضة على شفتى (محمود) ، وهو يقول :

ـ لست أراه على هذه الصورة المتشائمة يا سيّدى .

هتفت (سلوى) فى لهفة :

ـ هل لديك خطة ما ؟

ابتسم وهو يقول :

ـ بالطبع .. إننا لسنا مجرّد فريق عادىّ .. إننا فريق علمىّ .

واتسعت ابتسامته ، وهو يردف :

ـ وسننجح بإذن الله .

★ ★ ★

تطلّع الحارس الخاصّ لزنزانة (نور) إلى وجه (رمزى) ، المحاط بالضّمادات ، فى ريبة ، وهو يقول فى شك :

ـ لماذا تخفى نصف وجهك خلف هذه الضّمادات ؟

أجابه (رمزى) فى برود :

ــ لقد تعرّضت لحادث مؤسف ، ولقد تحقّق حارس أمن المبنى من شخصيّتى .

نقل الحارس بصره بين وجوه (رمزى) و (محمود) و (سلوى) فى شكّ واضح ، قبل أن يقول فى صراحة :

ــ هل سيقوم ثلاثتكم بزيارته فى آن واحد ؟

أجابته (سلوى) فى هدوء :

ــ سأدخل أنا إلى الزنزانة وحدى ، وسيبقى زميلاى هنا ، فلقد أرادا رؤيته فحسب ، أمّا أنا فلدىّ ما أقوله له .

ارتسمت ابتسامة خبيثة على وجه الحارس ، وقد خيّل إليه أنه قد فهم اللعبة ، وأشار إلى الزر الذى يوقف أشعة الليزر ، قائلاً فى صرامة :

ــ لو أنكما تتصوّران أنه بإمكانكم إيقاف خيوط الليزر ، ومعاونته على الفرار من هنا فأنتم واهمون ، فسأوقف مفعول هذا الزّر ، قبل مغادرتى المكان ، وسأقف على باب الممر و ..

قاطعه (رمزى) فى برود :

ــ هل سنستمع إلى هذه المحاضرة طويلاً ؟

عقد الحارس حاجبيه فى غضب ، ثم التفت وضغط الزّرّ ،

فتوقّفت خيوط الليزر ، وترك (سلوى) تدلف إلى الزنزانة ، ثم أعاد خيوط الليزر ، وانتزع بطاقة مغناطيسية صغيرة من تجويف رفيع إلى جوار الزّر ، ثم ابتسم فى خبث وسخرية ، وهو يتطلّع إلى (رمزى) و (محمود) ، قبل أن يسرع الخطا إلى نهاية الممر ، ويغلق بابه خلفه فى إحكام ، ولم يكد يفعل حتى قال (رمزى) :

ــ هيّا .. ليس أمامنا سوى ربع ساعة فقط .

أسرع (محمود) ينتزع ساعته الذرية الصغيرة ، التى تحيط بمعصمه ، وضغط بعض الأزرار الدقيقة فى جانبها بسرعة ، ثم وضعها أرضًا ، إلى جوار خيوط الليزر ، التى تغلق مدخل الزنزانة ، وابتعد عنها بضع خطوات ، و(نور) يراقب الموقف فى اهتمام وترقّب ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

وفجأة انحنت خيوط الليزر كلها ، على نحو بدا أقرب إلى مشاهد الخدع السينمائية المحكمة ، واتجهت كلها نحو الساعة الصغيرة ، التى بدت وكأنها تمتص الأشعة القاتلة فى هدوء وسكون ، صانعة فجوة واسعة عبْر باب الزنزانة ، فهتف (نور) فى إعجاب :

ــ يا لَلرَّوْعة !! ما هذا الشىء يا عزيزى (محمود) ؟

ابتسم (محمود) وهو يقول :

— يمكنك أن تطلق عليه اسم (مستقطب الليزر) يا (نور) ، وهو يعتمد على كون أشعة الليزر عبارة عن فوتونات ضوئية مكثّفة و ..

قاطعه (رمزى) فى توتُّر :

— ليس الآن يا (محمود) .. سيتوقّف مستقطبك الليزرىّ هذا بعد اثنتى عشرة دقيقة فحسب .

ثم عبر الفجوة ، التى صنعها انحناء خيوط الليزر ، فى سرعة ، وأخذ ينزع الضّمادات التى تحيط بوجهه ، وهو يقول :

— هيّا يا (نور) .. لقد أرسل لك الدكتور (حجازى) قناعًا من المطاط الصناعى ، يشبهنى تمامًا ، وعليك أن تضعه على وجهك ، ثم تحيطه بتلك الضّمادات ، وسيظن الجميع أنك أنا ، وأنت تغادر المبنى ، ومن حسن الحظ أنهم لا يفحصون من يغادر المبنى ، مثلما يفعلون مع من يدخله .

التقط (نور) القناع المطاطىّ ، وهو يسأله فى قلق :

— وماذا عنك أنت ؟

أجابه (رمزى) فى إصرار واضح :

— سأبقى فى الزنزانة بدلاً منك ، فينبغى أن يجد الحارس سجينه ، حينما تنتهى الزيارة ، وإلّا فشلت الخطة ، ولقد صنع

الدكتور (حجازى) قناعًا آخر يشبهك ، وهو لن يخدع الحارس بالطبع ، ما لم أرقد على فراشك ، وأولى وجهى شطر الحائط .

غمغم (نور) ، وهو يحيط وجهه بالضمادات ، بعد أن ثبّت فوقه ذلك القناع ، الذى يحمل وجه (رمزى) :

— هل تعرف العقوبة التى تنتظرك ، إذا ما كُشف أمرك بعد فرارى ؟

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يقول :

— نعم يا (نور) ، ولكننى أدين لك بالاعتذار ، بعد أن أخطأت فى تفسير ما حدث ، وأعتقد أن هذه وسيلة مناسبة لسداد دينى .

ثم أسرع يستطرد ، قبل أن يعترض (نور) :

— والآن هيّا ، فلم يعد باقيًا لنا إلّا خمس دقائق فقط ، ولابد من أن نستبدل ثيابنا فى سرعة .

أطلّت نظرة امتنان من عينى (نور) ، وأسرع يستبدل ثيابه مع (رمزى) ، وهو يسأله :

— سؤال أخير .. لماذا بقيتما أنت و (محمود) خارج الزنزانة ؟

ابتسم (رمزى) ، وهو يقول :

ـــ الطب النفسى يا صديقى .. فلقد زرعنا الشك فى قلب الحارس ، وجعلنا تفكيره كله يتجه إلى زِرّ إبطال خيوط الليزر ، وسيكون هذا أوّل ما يتطلّع إليه حينما يعود ، بعد انتهاء الزيارة ، ولن يخطر بباله مطلقًا أنك أنت الذى تقف إلى جوار (محمود) فى الخارج ، وأنا الذى أقف مع (سلوى) فى الداخل .. إنه ما يسمى بالتشتيت الذهنى يا صديقى .

ضحك (نور) ، وهو يقول :

ـــ ياإلهى !! .. يبدو أننا فريق رائع يا رفاق ، ومن حسن الحظ أننا نعمل إلى جانب العدالة ، وليس ضدها .

ابتسم (رمزى) وهو يقول :

ـــ موقفنا هذا يجعلنى أتصوّر العكس يا (نور) .

صاح (محمود) فى قلق :

ـــ هيّا يا (نور) .. لم تعد أمامنا سوى دقيقة واحدة .

أسرع (نور) يعبر الفجوة بين خيوط الليزر ، ويقف إلى جوار (محمود) ، خارج الزنزانة ، فى حين ارتفع أزيز خافت من الساعة ، ثم توقّف فجأة ، وعادت خيوط الليزر إلى موقعها الأوّل ، لتغلق الزنزانة ، وأسرع (محمود) يستعيد ساعته ،

ويحيط بها معصمه ، فى نفس اللحظة التى عاد فيها الحارس ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ انتهت الزيارة أيها السادة .

أدار (رمزى) وجهه إلى الحائط ، على حين اتجه انتباه الحارس إلى زِرّ خيوط الليزر ، تمامًا كما توقّع هو ، وأعاد بطاقته المغناطيسية إلى ذلك التجويف ، الذى يجاور الزِرّ ، ثم أوقف خيوط الليزر ، وترك (سلوى) تغادر الزنزانة ، ثم أعاد الخيوط ، وابتسم فى خبث وهو يقول فى ثقة :

ـــ لن تنجح خطتكم فى تهريبه أيها السادة .. إن الفرار من هذه الزنزانة مستحيل !!

★ ★ ★

« كنت أتوقّع هذا » .

غمغم القائد الأعلى بهذه العبارة وهو يبتسم ، ويراقب ما يحدث فى زنزانة (نور) ، عبر شاشات المراقبة ، فعقد الدكتور (عبد الله) ، مدير المختبرات العلمية للمخابرات ، حاجبيه ، وهو يراقب الشاشة ، قائلاً :

ـــ هل ستتركهم يغادرون المبنى يا سيّدى ؟

أجابه القائد الأعلى فى صرامة :

ـ نعم .

ثم استطرد فى اهتمام :

ـ ما أن أبلغنى حارس أمن البوَّابة أن الفريق كله قد أتى لزيارة (نور) دفعة واحدة ، وبأن (رمزى) يخفى نصف وجهه بضمادات سميكة ، حتى أدركت فورًا أنهم يُعدون خطة لتهريب (نور) ، فأمرت رجال المراقبة بالتجاوز عن القانون ، وعدم إبطال المراقبة فى أثناء الزيارة ، ونقل كل ما يحدث إلى شاشتى الخاصة .

وابتسم ، وهو يردف فى لهجة أقرب إلى الإعجاب :

ـ ولقد حدث ما توقَّعته ، وأثبت فريق (نور) أنه أعظم فرق الإدارة ، فلقد نفَّذوا خطة العصر ، ونجحوا فى تهريب (نور) من زنزانة إليكترونية حديثة ، كُنَّا نظن الفرار منها مستحيلاً .

غمغم الدكتور (عبد الله) فى قلق :

ـ ولكن هذا يخالف القانون يا سيِّدى .

ابتسم القائد الأعلى فى هدوء ، وشبَّك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يقول :

ـ رُوَيْدَك يا دكتور (عبد الله) .. أنت تعلم مثلى أن

(نور) من ضباطنا الأوائل ، الذين يوليهم الجميع ثقة مطلقة ، وكلانا يرفض منذ البداية تصديق أنه خائن ، فلماذا لا نمنحه فرصة إثبات براءته ؟

عاد الدكتور (عبد الله) يغمغم فى قلق :

ـ ولكن القانون ..

لوَّح القائد الأعلى بكفه فى هدوء ، وحافظ على ابتسامته ، وهو يقول :

ـ وماذا عن الضمير يا دكتور (عبد الله) ؟ .. حاول أن تتجاهل تلك القواعد الروتينية ، وتفكِّر فى الأمر برمته على نحو آخر .. أنت تعلم أن هذه القضية بالذات متشابكة ومعقَّدة للغاية ، وبها الكثير من الغموض ، أليس كذلك ؟

أجابه الدكتور (عبد الله) فى حَذَر :

ـ هذا صحيح .

عاد القائد الأعلى يلوِّح بكفه ، وهو يقول :

ـ عظيم .. أليست هذه ـ بالذات ـ هى نوعية القضايا ، التى نسندها دائمًا لـ (نور) وفريقه ؟

غمغم الدكتور (عبد الله) :

ـ بلى .

اعتدل القائد الأعلى ، واتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

ـــ إذن فلم لا نسند إليهم هذه القضية أيضًا ؟

ارتفع حاجبا الدكتور (عبد الله) فى دهشة ، وهو يقول :

ـــ ماذا تعنى يا سيِّدى ؟

أجابه القائد الأعلى فى رزانة وهدوء :

ـــ أعنى أننا سنكتفى بمراقبة (نور) وفريقه يا دكتور (عبد الله) ، وسنترك (نور) يحل لغز قضية (نور) .

وعاد يسترخى فى مقعده ، وهو يردف فى ثقة :

ـــ هذا هو الأسلوب الأمثل لحل مثل هذه الأمور المعقَّدة يا دكتور (عبد الله) .. سنترك (نور) يواجه (نور) .

ولم يدر القائد الأعلى أن عبارته كانت تتطابق مع الحقيقة المذهلة تمامًا ..

لقد كان على (نور) أن يواجه (نور) ..

* * *

٥ ـــ الكل فى الجزء ..

زفرت (سلوى) فى قوَّة ، وكأنها تلقى بثقل هائل يجثم على صدرها ، حينما ابتعد (نور) بسيَّارة (رمزى) عن مبنى إدارة المخابرات العلميَّة ، وهتفت فى صوت يحمل كل توترها وانفعالها :

ـــ يا إلهى !! .. لم أتصوَّر أبدًا أن الخطة ستنجح .

ابتسم (نور) ، وقال وهو يزيل الضمَّادات عن وجهه :

ـــ لقد كانت خطة رائعة يا عزيزتى ، ويؤسفنى أنها قد كشفت قصورًا فى وسائل الأمن داخل الإدارة ، سأحاول وضع تقرير عن ذلك عند عودتى للعمل .

عقد (محمود) حاجبيه ، وقال من المقعد الخلفى للسيارة :

ـــ (نور) .. إنك تبدو واثقًا من براءتك هذه المرَّة .

أجابه (نور) فى هدوء وثقة :

ـــ هذا صحيح يا (محمود) .

وصل فضول (سلوى) إلى ذروته ، وهى تسأله :

ـــ ألن تبلغنى بعدُ ما يدور فى عقلك يا (نور) ؟

التقى حاجباه ، وهو يقول :

ـــ ليس الآن يا عزيزتى .. إن الأمر أعقد من أن يصدِّقه


ثم التفت ليجد (نور) جالسًا خلف مكتبه ، ومصوِّبًا إليه مسدسًا ليزريًّا

أحد ، ولن يتخذ صورته الصحيحة فى ذهنى ، إلّا بعد أن ألتقى بالدكتور (منصور) ، وأكشف حقيقة تجاربه السِّرِّيَّة .

سأله (محمود) فى اهتمام :

— هل تؤمن بأنه المسئول عمّا حدث ؟

صمت (نور) لحظة ، وهو يقود سيّارة (رمزى) الصاروخية ، عَبْر الطريق الخاص ، الذى يقود إلى (أسيوط) ، ثم أجاب فى صوت عميق :

— لو صحّ استنتاجى يا (محمود) ، فسيعنى هذا أننى لن أقاتل الدكتور (منصور) ، بل سيكون علىّ أن أقاتل من هو أخطر من ذلك .

وعاد إلى صمته لحظة أخرى ، وقبل أن يردف فى لهجة ارتجف لها جسد (سلوى) :

— سأقاتل نفسى .

* * *

اتسعت عينا الدكتور (منصور) فى دهشة ، حينما ولج حجرة مكتبه فى المستشفى ، وأغلق بابها خلفه ، ثم التفت ليجد (نور) جالسًا خلف مكتبه ، ومصوِّبًا إليه مسدسًا ليزريًّا ، ولكن دهشته هذه لم تستغرق أكثر من نصف دقيقة ، عاد بعدها

يعقد حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ إذن فأنت ذلك الضابط الخائن ، الذى يبحثون عنه ! .. هل لك أن تخبرنى عمّا تفعله فى مكتبى الخاص ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ــ كنت أنتظرك يا دكتور (منصور) .

لوَّح الدكتور (منصور) بذراعه ، وهو يقول فى سخط وغضب :

ــ إننى أرفض استقبال الخونة فى مكتبى .

ابتسم (نور) فى هدوء ، وسدَّد مسدَّسه الليزرىّ نحو رأس الدكتور (منصور) ، قائلاً فى برود :

ــ أنت مضطر لذلك يا سيِّدى للأسف ، ما لم تكن ترغب فى أن يخترق رأسك العبقرىّ شعاع من اللّيزر .

عقد الدكتور (منصور) حاجبيْه ، وقد لاحت له دِقَّة الموقف ، وقال فى صرامة :

ــ ماذا تريد ؟

أجابه (نور) فى صرامة أشد :

ــ ما نوع التجارب التى تجريها بالضبط يا دكتور (منصور) ؟

هتف الدكتور (منصور) فى عناد :

ــ لو تصوَّرت أن مسدَّسك المصوَّب إلى رأسى سيجعلنى أخبرك فأنت واهم .. إن تجاربى سرِّيّة ، وستبقى كذلك ، والقانون يمنحنى هذا الحق و ..

قاطعه (نور) فى صرامة :

ــ مَنْ قال إن تجاربك سرِّيَّة إلى هذه الدرجة ؟

أجابه الرجل فى حِدَّة :

ــ أنا .. وليس هناك من يعرفها سوى (حازم) و (هشام) ، وأنا ، وما من مخلوق آخر فى الكون يمكنه ..

عاد (نور) يقاطعه فى لهجة خشنة :

ــ أنا أعرف طبيعة تجاربك .

حدَّق الرجل فى وجهه فى دهشة ، ثم لم يلبث أن هتف فى سخط :

ــ خُدعة ساذَجة أيها الرائد الخائن .

استرخى (نور) فى مقعده فى هدوء ، وهو يقول :

ــ هكذا ؟! .. سأخبرك أنا إذن عن طبيعة تجاربك .. إنها تعتمد على إنبات كائنات متكاملة من جزء من كائن مشابه .. أليس كذلك ؟

اتسعت عينا الدكتور (منصور) فى ذعر وذهول ، ثم بدا أقرب إلى الانهيار ، وهو يلقى جسده فوق أقرب مقعد إليه ، مغمغمًا :

— يا إلهى !! .. كيف عرفت هذا ؟

أجابه (نور) فى صرامة :

— ليس هذا بالأمر العسير يا دكتور (منصور) ، فالعلماء يجرون هذه التجارب منذ عام ألف وتسعمائة وثمانين ، ولكن نجاحهم اقتصر فى المرحلة الأولى على إنتاج نبات كامل ، من خلية واحدة ، ثمّ عزلها وتنميتها فى وسط مناسب ، ثم ..

قاطعه الدكتور (منصور) ، قائلاً فى انفعال :

— لقد كان ذلك أمرًا تافهًا يا فتى ، فالخلية التى يتم انتزاعها من نبات ما ، وتنميتها فى وسط ملائم ، يمكنها أن تنتج نباتًا مشابهًا تمامًا للنبات الأصلىّ ، الذى انتزعت منه الخلية الأولى ، ولقد نجح العلماء أيضًا ، عام ألف وتسعمائة وخمسة وثمانين ، فى إنتاج ضفدعة كاملة من خلية واحدة ، تم اختيارها من ضفدعة حية ، ولقد جاءت الضفدعة الجديدة نسخة طبق الأصل من الأولى ، ولكنهم عجزوا عن تخليق أى حيوان ثديى ، من خلية منتزعة من حيوان آخر(*) ؛ لأنهم لم يعلموا

(*) حقيقة علمية .

من أى جزء من أجزاء الجسم ، ينبغى أن تنتزع هذه الخلية المنفردة .

أرخى (نور) مسدّسه الليزرى ، وهو يستمع فى اهتمام إلى حديث الدكتور (منصور) ، الذى أردف فى انفعال بالغ :

— ولقد توصّلت أنا إلى هذا السّر .. توصّلت بعد ربع قرن من البحث والدراسة .. توصّلت إلى المنطقة التى ينبغى انتزاع خلية منفردة منها ، وتنميتها على مخلوق مطابق تمامًا للمخلوق الأصلى ، صاحب الخلية الأولى ، ولن أكشف سرّ هذه المنطقة حتى ولو قتلتنى .

لم يكن ذلك السّر يعني (نور) ، الذى خفق قلبه فى قوّة ، حينما شعر باقترابه من حلّ اللّغز المخيف ، فواصل استماعه إلى الدكتور (منصور) ، الذى نهض من مقعده ، وشمله الحماس وهو يستطرد :

— أنا أوّل عالم فى الكون كله ، ينجح فى تنمية كائن ثديّى كامل من خلية واحدة ، بل جعله ينمو بمعدّل خراق ، بحيث يصل إلى النمو الكامل فى عشرة أيّام فحسب .. ولقد جاءت النتائج رائعة ومذهلة ، حتى بالنسبة إلىّ ، فالكائن الجديد ينمو فى سرعة فائقة ، حتى يصل إلى نفس مرحلة العمر ، التى كان

عليها أصله ، حينما انتزعت منه الخلية الأولى ، ثم يتوقَّف نموه السريع لسبب غير مفهوم ، ويعود إلى النمو بنفس المعدَّل الطبيعى .. ومن العجيب أنه يحمل كل صفات الكائن الأصلىّ ، فى تطابق مذهل ، لا يحدث حتى بالنسبة للتوائم المشابهة ، فهو يحمل نفس الملامح ، وفصيلة الدم ، وحتى الذاكرة .. لقد كان الجرو ، الذى نبت من خلية واحدة ، يذكر كل ما تعلَّمه ذلك الجرو الأصلى ، الذى انتزعت منه هذه الخلية .. لست أدرى تفسير ذلك علميًّا ، ولكن هذا ما يحدث .. إننى أنتج كائنًا هو نسخة طبق الأصل من الكائن الأصلىّ .. إن نجاحى هذا سيضعنى على قمة قائمة العلماء عبر كل العصور .. لقدْ حقَّقت ما ظنه الجميع مجرَّد حلم مستحيل .

عقد (نور) حاجبيه فى حَنق ، وهو يقول :

ـ وماذا عن تخليق إنسان كامل من خلية واحدة من جسده ؟ .. هل يسعدك أنها قد حقَّقت نجاحًا مذهلاً ، جعل الجميع يتَّهموننى بالخيانة .

علت وجه الدكتور (منصور) دهشة حقيقية ، وهو يغمغم :

ـ تخليق إنسان كامل ؟! .. ولكننى لم أبلغ هذا المدى من تجاربى بعد .

زفر (نور) فى ضيق ، وهو يقول :

ـ أعلم ذلك يا دكتور (منصور) .. أعلم ذلك .

ثم مال نحو الرجل ، الذى ارتسمت على وجهه دهشة بالغة ، واستطرد فى انفعال :

ـ هل تذكر ذلك الحادث ، الذى تعرَّضت له أنا وزوجتى ، والذى عالجت أنت إصابتى منه ؟

غمغم الرجل فى حَيْرة :

ـ إننى أذكره بالطبع .

عاد (نور) إلى جلسته الأولى ، وهو يقول :

ـ لم أكن أنا المقصود بهذا الحادث يا دكتور (منصور) .

وشملت نظراته وجه الرجل ، وهو يستطرد :

ـ كان المقصود هو قتلك أنت يا دكتور (منصور) .

* * *

٦ ـ الحقيقة المذهلة ..

تململت (سلوى) فى مقعدها ، داخل سيارة (رمزى) الصاروخية ، وبدت شديدة القلق والتوتُّر ، وهى تلتفت إلى (محمود) ، الذى يحتلّ مقعد القيادة ، قائلة فى عصبيَّة :

ـ لقد طال غياب (نور) .. تُرى ماذا يفعل طوال كل هذا الوقت ؟

أجابها (محمود) فى هدوء ، وهو يراقب مدخل المستشفى فى اهتمام :

ـ الأمر يحتاج إلى وقت طويل يا (سلوى) ، فلا تنسىْ أنه يواجه الرجل بالحقيقة .

عقدت حاجبيها ، وهى تقول فى غضب :

ـ نعم .. الحقيقة التى لم يخبرنا بها .

ابتسم (محمود) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـ ليس هذا هو المهم الآن يا (سلوى) .. إن (نور) يسعى لإثبات براءته ، وهذا ما نسعى إليه جميعًا ، وعلينا أن نثق به ثقة عمياء ، وننفِّذ أوامره بلا مناقشة .

تطلَّعت إلى باب المستشفى لحظة ، قبل أن تغمغم فى حَنَق :

ـ أكاد أتنازل عن نصف عمرى ، لمعرفة ما يدور هناك .

أجابها (محمود) :

ـ احتفظى بعمرك كله يا (سلوى) .. إننا لن نعلم إلَّا ما يخبرنا به (نور) .

وتسلَّل القلق إلى صوته ، وهو يستطرد :

ـ وليفعل الله (سبحانه وتعالى) ما فيه الخير للجميع .

* * *

لم يدر الدكتور (منصور) كم مضى من الوقت ، وهو يحدِّق فى وجه (نور) فى ذهول ، قبل أن يَشْحُب صوته كوجهه ، وهو يغمغم فى صوت متحشرج :

ـ قتلى أنا ؟! .. لماذا ؟ .. مَنْ ذا الذى يريد قتلى ؟

أجابه (نور) فى هدوء ، وهو ينهض من خلف المكتب :

ـ سأخبرك أنا يا دكتور (منصور) .

وترك مسدَّسه الليزرى فوق المكتب ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يسير فى الحجرة ، مستطردًا فى اهتمام :

ـ لقد تصوَّرت فى البداية ، كما تصوَّر والدى ، أننى كنت المقصود بذلك الحادث ، وأن وصولك المفاجئ بعد لحظات من الحادث ، لم يكن سوى جزء من خطة محكمة ، تهدف إلى

التخلّص منى ، أو وصمى بالخيانة ، عن طريق زرع جهاز توجيه خاصّ فى خلايا مخى ، إلّا أننى تذكّرت فجأة أن صديقنا الممثل (ممدوح خالد) ، هو الذى أرسل لنا دعوتى المسرحية ، وهذا يعنى أن أحدًا لم يكن يعلم بأمر انطلاقنا فى ذلك الطريق ، فى هذا الوقت بالذات وهنا ترابطت أطراف الخيط كلها فى رأسى ، وتوصّلت إلى الحقيقة ..

لقد كنت أنت المقصود بالحادث ، ولكن الشخص ، الذى وضع خطة التخلّص منك ، تصوّر أن سيارتنا هى سيارتك ، بسبب الضباب الكثيف فى تلك الليلة ، فبثّ صورة الفتاة ، التى جعلتنا ننحرف عن الطريق ، ونرتطم بسفح الجبل ، ولهذا وصلت سيارتك بعدنا بلحظات ، فقد كانت هى السيارة المقصودة ، ولقد أنقذ ذلك الخطأ حياتى وحياتك معًا ، فأنت نجوْت من الحادث ، وأنا نجوْت من الموت بسبب إصابتى ..

وفى حجرتك هنا ، أخبرك والدى أننى ضابط فى المخابرات العلمية ، وكانت هذه المعلومة مفاجئة للمجرم ، الذى قرّر إلغاء الخطة الأولى ، والانتقال إلى خطة ثانية ، يفيد فيها من الموقف الجديد ، فانتهز فرصة وقوعى تحت تأثير المخدر ، وانتزع من جسدى خلية مناسبة ، من تلك المنطقة الخاصّة ،

التى ترفض الإفصاح عنها ، وحملها إلى معمله الخاصّ ، خارج المستشفى ، حيث يطبّق تلك التجارب ، التى يتعلّمها منك ، وانتقل فى جرأة إلى خطوة لم تنتقل إليها بعد ..

لقد صنع من خليتى شبيهًا لى ، يحمل كل صفاتى ، وملامحى ، وذاكرتى ..

صنع غريمًا مثاليًّا لى ..

وسرق ذلك الغريم ، الذى هو جزء من نفسى ، أسطوانات الكمبيوتر السرّيّة ، من إدارة المخابرات الخاصّة ، وتركنى أدفع ثمن جريمته ، وأنا عاجز عن إثبات براءتى .

كانت بصماته هى بصماتى ، ودماؤه هى دمائى ، وكل صفاته هى صفاتى ..

وكدت أصاب بالجنون ، وأعدم بتهمة الخيانة ، لولا أن تذكّرت أمر الجروين المتطابقين ، اللذيْن رآهما أبى هنا ، فى مكتبك .. وعلى الرغم من غرابة التفسير ، وصعوبته ، إلّا أنه بدا لى التفسير المنطقىّ الوحيد ، الذى يجعل الأمور مقبولة ومعقولة .

استمع إليه الدكتور (منصور) فى ذهول ، ثم هتف :

ـــ إن كلامك يعنى أن ذلك المجرم هو ..

عجز عن إكمال عبارته ، فأكملها (نور) ، قائلاً :

ــ واحد من مساعديك (حازم) أو (هشام) ، أو كلاهما يا دكتور (منصور) .

غمغم الدكتور (منصور) فى ألم :

ــ ولكن لماذا حاول ، أو حاولا قتلى ؟

أجابه (نور) فى برود :

ــ حتى يحوز ، أو يحوزا سرَّ كشفك ، دون أن تزاحمهما فيه ، وحتى يمكنهما استغلاله ، بحيث يعود عليهما بأرباح طائلة .

غمغم الدكتور (منصور) فى ذهول :

ــ أرباح طائلة ؟ !

أجابه (نور) :

ــ بالطبع .. هل تعلم كم تربح الجاسوسية العلمية ، فى عصرنا هذا يا دكتور (منصور) ؟

ارتسم مزيج من الوجوم والذهول على وجه الدكتور (منصور) ، وهو يهمهم بكلمات مبهمة ، قبل أن تتحوَّل همهمته إلى غمغمة مفهومة ، وهو يقول :

ــ الاثنان .. هذا مستحيل !! لا يمكن أن أكون قد أخطأت اختيار الاثنين .. إنه واحد منهما فقط ولاشك .

أومأ (نور) برأسه موافقًا ، وهو يقول فى هدوء :

ــ أعتقد أننى أميل إلى ذلك يا سيِّدى .

امتلأ صوت الدكتور (منصور) بمزيج من اللهفة والسخط ، والغضب ، وهو يسأل (نور) :

ــ من منهما أيُّها الرائد ؟ .. من ؟

التفت (نور) إلى باب الحجرة ، وهو يقول فى هدوء :

ــ لا تتعجَّل الأمور يا دكتور (منصور) .. سيدخل الخائن من هذا الباب بعد لحظات .

لم يكد (نور) يتم عبارته ، حتى بدت وكأنها نبوءة خارقة ، فقد فُتح الباب فجأة ، ودخل أحد مساعدى الدكتور (منصور) إلى الحجرة ، ووقف يحدج الاثنين بنظرات باردة ، فى حين حدَّق الدكتور (منصور) فى وجهه ، وهو يهتف فى سخط :

ــ إذن فهو أنت !! .. هو أنت يا (هشام) !!

وفى حركة سريعة ، التقط (هشام) من جيب معطفه مسدَّسًا ليزريًا ، وصوَّبه إليهما ، وهو يبتسم فى برود ، قائلا :

وفى حركة سريعة ، التقط (هشام) من جيب معطفه مسدّسًا ليزريًا وصوّبه إليهما

ـ نعم .. هو أنا يا دكتور (منصور) .. أنا الذى سيفوز بكل الجوائز .. مع اعتذارى لكما .

واختتم عبارته بضحكة شيطانية ساخرة ..

* * *



٧ ـ الرجفة ..

لم يكد صوت الضحكة الشيطانية يتلاشى ، حتى ارتفع صوت الدكتور (منصور) ، وهو يهتف فى سخط هائل :

ـ أيها الخائن .. أيها الوغد .. إنك ..

قاطعه (هشام) بصوت صارم عنيف :

ـ كُفَّ عن غطْرسَتِك هذه أيها المأفون ، ألم تر بعدُ أن الأمور قد انقلبت ، وكشفت عن وجهها الآخر ، الذى يرسل بك إلى ذيل القائمة ؟!

احتقن وجه الدكتور (منصور) ، وهو يهتف :

ـ ذيل القائمة ؟! .. إنه اختراعى أنا أيها الحقير .. كشفى أنا ..

أطلق (هشام) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

ـ حاول أن تثبت ذلك أيها المُتَغطْرِس .. فبعد أن أتخلَّص منك ، ومن (حازم) ، ومع إصرارك الغبىّ على الحفاظ على سرِّيَة تجاربك ، سيكون من السهل أن أدَّعى أن تجاربك كانت تدور حول شىء سخيف ، وبعد عام أو عامين يمكننى أن أقدِّم تجاربك باسمى ، وأحوز المجد كله .

اختنقت الكلمات فى حلق الدكتور (منصور) ، وازداد

احتقان وجهه ، وهو يحاول أن ينطق بكلمة ما ، ولكن يبدو أن المفاجآت التى توالت عليه قد زلزلت كيانه ، فقد بدا لحظة وكأنه سيهوِى فاقد الوعى ، قبل أن يتشبَّث بحافَةِ مكتبه ، ويُلْقِى جَسَده على المقعد المجاور له ، وهو يغمغم فى صوت متحشرج :

ـ يالَكَ من حقير !! يالك من حقير !!

ثم أدار عينيه إلى (نور) فى حركة حادَّة ، وهو يستطرد فى مرارة :

ـ لاريْبَ .. لاريب أنك شريكه .. وإلّا فكيف ؟ .. كيف عرفت أنه سيدخل إلى الحجرة ؟

هزَّ (نور) كتفيه ، وهو يقول فى هدوء :

ـ أخطأت التفسير كالمعتاد يا دكتور (منصور) ، كان ينبغى أن تسألنى أوّلاً : كيف عرف هو أننى ضابط مخابرات علمية ، فى حين كنت أنت ووالدى وحدَكما فى الحجرة ، حينما أخبرك والدى بذلك ، وجدران حجرتك عازلة للصوت ؟

ضاقت عينا (هشام) ، وهو يحدج (نور) بنظرة قاسية ، فى حين استطرد هذا الأخير فى هدوء :

ـ لقد كان يتصنَّت على حجرتك بجهاز ناقل للصوت .

ثبّته فى مكان ما هنا يا سيّدى ، ولمّا كنت قد استنتجت هذا منذ البداية ، فقد كنت أعلم أنه يستمع إلينا حتمًا ، وأنا أسْرُد عليك ما توصّلت إليه ، وكان من الطبيعىّ ، حينما يعلم أننى قد كشفت الأمر ، أن يحاول إيقافنا ، قبل أن تنقلب الأمور على رأسه ، وكان لابدُّ له من أن يسرع إلى هنا ، ويهدّدنا بمسدّسه .

امتلأت نفس الدكتور (منصور) بالحَيْرة والشرود ، وهو يحدّق فى وجه (نور) بعينين زائغتين ، غير مصدّق لما يتهاوى على نفسه من صواعق الحقيقة ، على حين علت شفتى (هشام) ابتسامة شيطانية ، وهو يقول :

ــ رائع أيها الرائد .. إننى أشعر بالابتهاج ، كلما أبديت أنت لمحة من لمحات عبقريتك ، فلا تنس أننى أمتلك نسخة طبق الأصل منك ، فيما عدا أنها تسير على منهاجى الخاص .

التفت إليه (نور) ، يحدجه بنظرات هادئة ، قبل أن يسأله فى صوت يحمل الكثير من الفضول :

ــ مادمت قد أشرت إلى ذلك ، فدعنى ألقى عليك ذلك السؤال ، الذى لم أجد له جوابًا حتى الآن ، وهو كيف أصبح شبيهى مخالفًا لى تمامًا فى الانتماء لهذا الوطن ، مادام يحمل نفس صفاتى ، وذاكرتى ؟

بدا الزَّهْوُ على وجه (هشام) ، ولوّح بمسدّسه ، هو يقول فى تفاخر :

ــ غسيل المخ يا صديقى .. لقد كانت فرصة مثالية أن تراقب مخًّا بشريًّا ، وهو ينمو أمامك فى سرعة فائقة ، خلال عشرة أيام فحسب ، ولقد تركت له ذاكرته ، أو ذاكرتك بمعنى أدقّ ، ولكننى أقنعته وهو ينمو بأنك عدُوُّه الأوّل ، الذى يسعى لتدميره ، وأن فرصته الوحيدة فى البقاء هى فى إزاحتك من الطريق .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ إذن فقد تعمّد أن يكشف حادث السطو الذى ارتكبه ، حتى يوقع بى أنا ، وللسبب نفسه تعمّد جرح راحة يده ، وترك دماءه تنزف على أرض المعمل ، وترك مُدْيَته خلفه .. كل هذا حتى يتخلّص منى .

أطلق (هشام) ضحكة ساخرة ، قبل أن يقول :

ــ إنه عبقرى .. مثلك تمامًا أيها الرائد ، ولقد كان يعلم كيف سيفكّر صديقك الطبيب النفسى ، وكيف سيتصرّف طبيبكم الشرعىّ .. لقد تصرّف على نفس النحو ، الذى كان من الممكن أن تتصرّف أنت به ، لو أنك فى موقعه .. إنه جزء منك أيها الرائد .. جزء صار نسخة مذهلة من شخصيتك .

بدا الغضب على وجه (نور) ، وهو يغمغم :

ـــ نسخة شرِّيرة !!

عاد (هشام) يطلق نفس ضحكته الساخرة ، قبل أن يقول :

ـــ بل نسخة ملائمة لمشروعاتى المستقبلية أيها الرائد .. نسخة تصلح لصنع أقوى جاسوس فى العالم .

لوَّح (نور) بكفه فى لامبالاة ، وهو يقول :

ـــ خطة فاشلة أيها الوغد ، فإدانتى بتهمة الخيانة تعنى إدانته أيضًا .

هزَّ (هشام) كتفيه فى استهتار ، وهو يقول :

ـــ المهم أن تذهب أنت أوَّلاً ، وبعدها كان عقله العبقرىّ سيجد وسيلة مناسبة لظهوره ، مدَّعيًا مثلاً أنك أنت النسخة ، وأنه هو الأصل ، أو أى حلّ آخر .. إنه عبقرىّ ، كما لابدّ أنك تعلم ، ولن يعجز عن تبرير ظهوره ، ثم إنه لا توجد وسيلة واحدة فى العالم أجمع للتمييز بينكما .

انبعث صوت الدكتور (منصور) فجأة ، وهو يغمغم فى مرارة :

ـــ هذا صحيح .

ثم عاد إلى صمته ، كما لو أن هذه العبارة هى كل ما بقى فى حنجرته ، بعد الصَّدمات المتتالية التى تلقَّاها فى الدقائق الماضية ، ولقد تجاهل (نور) العبارة تمامًا ، وهو يسأل (هشام) :

ـــ سؤال آخر .. كيف عرف شبيهى أننى اختبئ فى معمل الدكتور (حجازى) الخاص ؟

هزَّ (هشام) رأسه ، وهو يقول :

ـــ لست أدرى .. إنه لم يفصح عن ذلك أبدًا .

وهنا انبعث صوت الدكتور (منصور) مرة أخرى ، وهو يقول فى تخاذل :

ـــ التخاطر العقلى يا ولدى .. إنه أحد صفات التوائم المتشابهة(*) وشبيهك هو جزء من جسدك ، ومن الطبيعى أن يحدث بينكما تخاطر عقلىّ ، إلى درجة ما .

لم يكد الدكتور (منصور) يتمُّ عبارته ، حتى اندفع (حازم) ، المساعد الثانى ، داخل الحجرة ، وهو يهتف فى لهفة :

ـــ دكتور (منصور) .. إن الجرو الآخر قد ..

(*) حقيقة علمية .

واختنق النصف الثانى من العبارة فى حلقه فجأة ، وهو يحدّق فى الحجرة ، قبل أن يهتف فى دهشة :

ـــ ماذا يحدث هنا ؟

ثمّ اندفع نحو (هشام) ، صائحًا فى سخط :

ـــ كيف تجرؤ على حمل مسدّس ليزرى فى حضرة أستاذنا الـ ..

وفجأة ، وبلا أدنى قدر من التردُّد ، أطلق (هشام) أشعة مسدّسه الليزرىّ نحو (حازم) ، وبلا أدنى قدر من التردُّد أيضًا ، انقضّ (نور) على خصمه ..

★ ★ ★

اخترقت الأشعة القاتلة رأس (حازم) بلا رحمة ، فجحظت عيناه فى مزيج من الذهول والألم ، قبل أن يسقط جثة هامدة ، فى نفس اللحظة التى قفز فيها (نور) نحو (هشام) ، وركل مسدّسه فى قوّة ، ثم كال له لكمة قويّة ، جعلته يترنّح ، إلّا أنه تفادى لكمة (نور) الثانية فى براعة ، كأنّما لم يتلق لكمته الأولى منذ لحظة واحدة ، وانقضّ على (نور) بدوره يلكمه فى معدته ..

كانت اللكمة قويّة عنيفة ، إلّا أن (نور) احتملها فى بسالة ، ومال بجسده يسارًا مراوغًا خصمه ، ثم غاص بجسده إلى أسفل ، وانتصب لتهوى قبضته على فك خصمه كالقنبلة ، مما دفع (هشام) إلى الخلف ، ليرتطم ظهره بحافةِ مكتب الدكتور (منصور) ، ويتأوّه فى ألم ..

وانتزع ذلك القتال المفاجئ الدكتور (منصور) من ذهوله ، وارتسم مزيج من الغضب والكراهية فى ملامحه ، واستدارت عيناه إلى حيث سقط مسدّس مساعده ، وهبّ من مقعده فجأة ، وقفز يلتقط المسدّس ، ويصوّبه إلى (هشام) ، وهو يصرخ فى ثورة :

ـــ ستدفع ثمن جرائمك أيها الخسيس .

صاح (نور) فى جزع :

ـــ كلّا يا دكتور (منصور) .. كلّا ..

ولكن (هشام) التقط فجأة مسدّس (نور) ، الذى تركه على سطح المكتب ، ومال بجسده متفاديًا طلقة الأشعة ، التى انبعثت من مسدّس الدكتور (منصور) ، ثم أطلق أشعة مسدّسه هو ، لتنفذ من صدر الدكتور (منصور) ، وتخترق قلبه فورًا .

وجحظت عينا الدكتور (منصور) ، وسقط المسدّس من كفه ، وهو يغمغم :


وحاول (هشام) أن يدير مسدسه نحو (نور) ، ولكن هذا الأخير قفز جانبًا ، وأمسك معصم خصمه

ـ أيُها الخسيس ، أيُها الـ ..

ثم سقط بدوره جثة هامدة ، وحاول (هشام) أن يدير مسدسه نحو (نور) ، ولكن هذا الأخير قفز جانبًا ، وأمسك معصم خصمه ، ثم هوى على فكه بلكمة ساحقة ، وهو يهتف فى غضب :

ـ أيها القاتل الحقير !!

سقط (هشام) أرضًا ، وأفلت مسدسه من يده ، فالتقطه (نور) فى خفة ومهارة ، وصوبه إليه ، وهو يقول فى صرامة غاضبة :

ـ انتهت اللُعبة أيها الحقير .. لقد خسرت كل الجوائز ، التى كنت تحلم بها .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (هشام) ، وهو ينهض ممسكًا بفكِّه ، وقال فى برود :

ـ هل تظن ذلك؟ .. وماذا عن والدك أيها الهمام ؟

التقى حاجبا (نور) ، وهو يغمغم فى دهشة :

ـ والدى ؟ !

أطلق (هشام) ضحكة شرسة ، قبل أن يقول فى حدَّة :

ـ إذن فهم لم يخبروك أن والدك فى حوزتى ، وأنه سيلقى مصرعه ، ما لم تصحبنى فى هدوء إلى معملى الخاص .

أجابه (نور) فى صرامة شديدة ، تمتزج بمزيج من السخط والغضب :

ـــ لو مسست شعرة واحدة من جسد والدى سأ ..

قاطعه (هشام) فى سخرية :

ـــ مسدسك أيها الرائد .

ران عليهما لحظة قصيرة ، تبادلا خلالها نظرةً صارمة متحدية ، قبل أن يلقِى (نور) مسدسه فى حَنَق ، وهو يقول :

ـــ إنك لم تترك لى الخيار أيها الوغد .

انحنى (هشام) ليلتقط المسدَّس فى هدوء ، ثم دسَّه فى جيب مِعْطَفه ، وعادت تلك الابتسامة الساخرة ترتسم على شفتيه ، وهو يواجه (نور) ، قائلاً :

ـــ اختيار حكيم أيها الرائد .. والآن هيَّا بنا .. لقد حان الوقت لتواجه خليتك ، التى صارت رجلاً يافعًا ..

★ ★ ★

سرت ارتجافة فى جسد (محمود) ، وتشبَّثت قبضتاه بعجلة قيادة السيَّارة ، وهو يقول فى صوت متحشرج منفعل :

ـــ ها هما .

حدَّقت (سلوى) فى (نور) و (هشام) ، اللذيْن يسيران نحو سيَّارة (هشام) الصاروخية فى هدوء ، وهتفت فى انفعال :

ـــ إن (نور) يسير إلى جواره كأنما كانا صديقين .

أجابها (محمود) فى توتُّر ، وهو يدير محرِّك سيارته :

ـــ إنهم لن يتقاتلا فى الطريق يا (سلوى) ، خاصةً وأن (نور) كان يتوقَّع ذلك ؛ لذا فقد طلب منّا أن نتبعه ، إذا ما رأيناه يغادر المستشفى بصحبة طبيب شاب .

هتفت فى عصبية :

ـــ ماذا تنتظر إذن ؟ .. هيَّا بنا .

وفجأة مرقت سيَّارة إلى جوار سيارتهما ، وانحرفت لتتوقَّف أمامهما تمامًا ، فى حين توقَّفت أخرى خلفهما ، وقفز من السيارتين عدد من رجال الشرطة ، صوَّب أحدهم مسدَّسه إليهما ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ أوقف المحرِّك يا فتى .. إننا نلقى القبض عليكما .

تطلَّعت (سلوى) فى جزع إلى سيارة (هشام) ، التى انطلقت مبتعدة ، وبداخلها زوجها (نور) ، فى حين هتف (محمود) فى توتُّر :

— بأية تهمة أيها الضابط ؟ .. إننا على عجلة من أمرنا ، وكل أوراقنا سليمة .

ارتجف جسداهما فى قوة ، حينما أجابهما الضابط فى هدوء :

— إنه أمر من المخابرات العلمية .. إننا نلقى القبض عليكما بتهمة الاشتراك فى تهريب الرائد السابق (نور الدين محمود) من سجنه .

اتسعت عينا (سلوى) و (محمود) فى ذعر ، وخفق قلب (سلوى) فى قوة ، وهى تلمح سيّارة (هشام) تختفى فى منعطف جانبىّ ، ووجدت نفسها تغمغم فى ألم ومرارة :

— ياإلهى !! .. لقد أفسدتم كل شىء .. لقد فقدنا (نور) إلى الأبد ..

★ ★ ★

انطلقت سيّارة (هشام) ، يقودها هذا الأخير ، عبر طريق جبلىّ ضيّق ، لعشر دقائق كاملة ، دون أن يتبادل هو و (نور) كلمة واحدة .

كان كلاهما يشعران بالانفعال الشديد ..

كان مرجع انفعال (هشام) إلى قرب نجاح خطته ، على نفس النحو الذى وضعه ، مع تعديل

طفيف ، فقد اضطر لقتل (حازم) ، والدكتور (منصور) ، وصار هو الوحيد الذى يعلم بسِرّ التجارب الخارقة ، التى أنجبت شبيه (نور) ، ولقد حرص على أن يغادر المستشفى مع (نور) ، أمام عيون الجميع ، حتى يمكنه أن يدَّعِى فيما بعد أن (نور) هو الذى قتل الاثنين ، وأنه قد أجبره على اصطحابه إلى الخارج ، وقيادة سيّارته إلى مكان يجهله ، وستبدو أقواله منطقية ومقبولة ، مادامت شرطة (مصر) كلها تطارد (نور) ، ومادام هو طبيبًا معروفًا فى المستشفى بحسن الخلق ، والهدوء ..

أمّا (نور) فقد كان انفعاله يعود إلى قرب لقائه بشبيهه ، الذى هو جزء من جسده .

كان هذا يثير فى أعماقه اللهفة والخوف فى آن واحد ، فهو أوّل مخلوق على وجه الأرض تتاح له فرصة مقابلة نفسه وجهًا لوجه ، ولقد حصل هو على هذه الفرصة النادرة فى مغامرة سابقة هى الأرض الثانية(*) ، حينما التقى بـ (نور) ، ولكن الذى سيقابله هذه المرّة هو نفسه ..

(*) راجع قصة (الأرض الثانية) .. المغامرة رقم (٤٢) .

جزء من نفسه ..

وتوقَّفت سيارة (هشام) أمام منزل صغير ، فى أعماق الجبل ، وهبط هو منها ، وهو يقول :

ــ بعدك أيها الرائد .

هبط (نور) من السيَّارة ، واتجه نحو المنزل ، وانفعاله يتصاعد مع كل خطوة يخطوها ، إلَّا أن ذلك الانفعال قفز فجأة إلى ذروته ، وجعل جسد (نور) يرتجف من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، على الرغم من معرفته بما ينتظره ، حينما فُتح باب المنزل فجأة ، وظهر على عتبته شبيهه ، الذى هو نسخة كاملة منه ، وراه يبتسم فى سخرية ، ويقول :

ــ مرحبًا أيها الرائد (نور) .. كم تسعدنى مقابلتك .. أقدِّم لك نفسى .. أنا أيضًا الرائد (نور) ..

كانت ارتجافة جسد (نور) قويَّة عنيفة ، وهو يواجه نفسه ..

كان (نور) يواجه (نور) ..

* * *

٨ ــ (نور) ضد (نور) ..

عجز (نور) طويلاً عن التحديق فى وجه شبيهه ، واستنكر عقله فى اللحظات الأولى كون هذا الشاب ، الذى يجلس أمامه ، والذى يطابقه فى كل دقيقة من دقائقه ، لم يكن منذ أسبوعين وبضعة أيام سوى خلية واحدة ، فى مكان ما من جسده ..

كان يعلم أن هذه هى الحقيقة ..

الحقيقة التى تفوق أبرع دروب الخيال ..

الحقيقة التى صنعت منه خائنًا فى عيون الجميع ..

وفهم الآن فقط ، لماذا خامره شعور بالعجز عن مقاتلة خصمه ، حينما واجهه فى معمل الدكتور (حجازى) الخاص ، وقبل حتى أن يكشف عن وجهه ..

لقد أدرك جسده ، قبل أن يدرك عقله ، أن خصمه ليس سوى جزءٍ من نفسه ..

خلية من خلاياه ..

خلية قاتلة متمرِّدة ..

لقد رفض جسده منذ البداية أن يقاتل نفسه ..

رفض (نور) أن يقاتل (نور) ..

ومرة أخرى سرت فى جسده تلك الارتجافة ، حينما قال شبيهه فى سخرية :

ـــ ماذا أصابك ؟ .. هل تدهشك رؤيتى إلى هذا الحد ؟

أجابه (نور) فى خفوت :

ـــ هل ترى موقفنا هذا تقليديًا ؟

هزّ الشبيه كتفيه فى لامبالاه ، وهو يقول :

ـــ إنه أمر طبيعى بالنسبة لى على الأقل ، فلقد نشأت وأنا أعلم أننى جزء منك ، وأن فرصتى الوحيدة فى البقاء هى التخلّص منك .

غمغم (نور) فى مرارة :

ـــ لماذا ؟

مطّ الشبيه شفتيه ، وهو يقول :

ـــ أمر طبيعى يا أصلى العزيز .. إن بقاءنا معًا يخلق الكثير من المشاكل ، فهو يخالف قوانين الطبيعة ، وحتى لو حاولنا ، وحاول العالم كله التكيُّف مع الموقف ، فسيأتى يوم يتحتم فيه التخلّص من أحدنا ، حتى تعود قوانين الطبيعة لمسارها الطبيعى .

لوّح (نور) بكفه ، وهو يقول فى حَنَق :

ـــ ألم تحاول أبدًا تصوُّر العكس ؟ .. ألم تتصوّر مدى النجاح الذى يمكن أن نحقّقه معًا ، لو أننا عملنا جنبًا إلى جنب ؟ .. سنكون أعظم فريق مخابرات علمية فى الكون كله و ..

قاطعه الشبيه فى كراهية واضحة :

ـــ وماذا عن ذاكرتنا المشتركة ؟

رفع (نور) حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :

ـــ إنها مزيّة وليست نقيصة .

لوّح الشبيه بذراعه فى مقت مخيف ، وهو يهتف :

ـــ هذا ما تظنه أنت ؛ لأنك أنت الذى يفوز بكل شىء ، لا أنا .

ثم هبَّ من مقعده ، وهو يستطرد فى بغض :

ـــ هل نسيت أن ذاكرتى مازالت تحمل حب (سلوى) ، الذى يملأ قلبك أنت ؟ .. وأن ذاكرتى تصرّ على أننى والد (نشوى) ابنتك أنت ؟ .. هل تريد منى أن أمحو كل ذلك من ذاكرتى ، وأكتفى بمراقبتك ، وأنت تنعم بكل هذا ؟ .. بالزوجة ، والابنه ، والأصدقاء ، والأحباء ؟ .. لا يا من منحتنى خليتك الوجود .. إن ذاكرتنا المشتركة هى لعنة .. لعنة لا سبيل للقضاء عليها سوى القضاء عليك أنت .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى حنق :

ــ الله (سبحانه وتعالى) هو الذى منحك الحياة والوجود ، وليس أنا ، ولم تكن تلك الخلية التى اغتصبت من جسدى سوى وسيلته (سبحانه وتعالى) لوجودك ، أمّا عن مخالفة قوانين الطبيعة فهذا ما أخالفك فيه ، فلو أن وجودك يخالف قوانين الطبيعة ما كنت هنا الآن .. إن وجودك هو تطبيق لقانون من قوانين الطبيعة ، لم يدركه العلم إلّا مؤخرًا .

ابتسم الشبيه فى سخرية ، وهو يقول :

ــ المنطق الفلسفىّ لا يصلح وحده لحل الأمور ، فقد يكون وجودى هو تطبيق لقانون من قوانين الطبيعة ، ولكن هذا لا يمنع كونه خطأً .. إن قانون الطبيعة يحتّم مصرع أى مخلوق ، لو قطعت عنقه ، ولكن الشرائع السماويّة تمنع ذلك ، دون وجه حق ، فهل تتصوّر أن مجرّد وجود القانون الطبيعى يعنى تطبيعه ؟

ــ أراك تتحدّث بمنطق فلسفىّ أيضًا .

ــ ربّما ، ولكنه منطق مرفوض ، فلو أردت أن أحيا نفس الحياة الطبيعية ، التى تحياها أنت ، لكان من الضرورى أن نضع بديلاً لـ (سلوى) ، وآخر لـ (نشوى) ، ثم نقف



ثم هبَّ من مقعده ، وهو يستطرد فى بغض :

ــ هل نسيت أن ذاكرتى مازالت تحمل حب (سلوى) .

عاجزين أمام إنتاج منزل كمنزلك ، يحتل نفس الموقع ، ونفس المكان .. إن تطبيق هذا القانون الطبيعى ، الذى تدّعى وجوده مستحيل يا صديقى .

— هذا التخبط هو مسئولية الرجل ، الذى أجرى تلك التجربة الشيطانية ، وليس مسئوليتى أنا .

— إنها ليست محاكمة للمسئول عمّا حدث .. إنها محاولة لإعادة الأمور إلى طبيعتها الأولى ، مع فارق بسيط ، وهو أن أحتلَ أنا موقعك ، بعد أن يتم إعدامك .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

— وهل تظن أنك ستنجح فى خداع الجميع ، وإيهامهم بأنك أنا ؟

ابتسم الشبيه فى سخرية ، وهو يقول :

— دعهم يحاولون إثبات العكس .. كلانا يعلم أنه ما من وسيلة على وجه الأرض لإثبات ذلك .

ارتسمت ابتسامة غامضة على شفتى (نور) ، وهو يقول :

— هل تظن ذلك حقًّا ؟

لوَّح الشبيه بذراعه ، وهو يقول فى سخرية :

— بل أنا واثق من ذلك .. فلا توجد نقطة واحدة للتفرقة بيننا ، ولو أنك تفكّر فى جرح ذراعك ، فلتعلم أننى قد طعنت ذراعى فى نفس الموضع ، وبمدية مشابهة تمامًا للمُدْية الأولى ، بعد أن غادرت معمل الدكتور (حجازى) تمامًا ، وهكذا سيجدون فى ذراعى طعنة تعود إلى نفس موعد إصابتك .

غمغم (نور) فى هدوء :

— وماذا عن جرح راحتك ؟

أطلق الشبيه ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

— إنه جرح سطحىّ صغير للغاية يا صديقى ، ولن يمكنك إثبات أنك لم تصب به ، ولن يمكنهم إثبات ذلك أيضًا .. أضف إلى هذا فرحتهم ، حينما يتصوَّرون أنك أنت التى نجوْت .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

— يبدو أن خطتك تخالف خطة (هشام) .

هزّ الشبيه كتفيه فى لامبالاة ، وهو يقول :

— بالطبع .. إنه رجل غبىّ ، يتصوَّر أننى أفعل كل هذا من أجله ، ولم يدرك حتى الآن أننى أعمل لصالحى وحدى فقط .

ثم صوَّب مسدَّسه الليزرىّ فجأة نحو (نور) ، وهو يستطرد :

ــ والآن يا أصل وجودى العزيز ، انزع عن ذراعك تلك الضِّمادات ، التى تحيط بجرحك ، فلا ينبغى أن أترك دليلاً واحدًا ، يمكنه أن يحدِّد أينا الأصل ، وأينا يعود إلى خلية واحدة .

نزع (نور) الضّمادات من حول ذراعه ، وهو يسأله فى هدوء :

ــ وأين والدى ؟

أشار الشبيه إلى حجرة جانبيه ، وهو يقول فى برود :

ــ هنا .. تحت تأثير مخدِّر قوىّ .

سأله (نور) فى هدوء ، وهو يلقى ضِمَاداته بعيدًا :

ــ هل تظن أنك ستنجح فى خداعه .

ابتسم الشبيه فى ثقة ، وهو يقول :

ــ نعم .. لقد تعمَّدت معاملته فى خشونة وجفاء طيلة الوقت ، وأوحيت إليه بأننى لا أذكر عن حياته السابقة شيئًا ، حتى بات يتصوَّر أن هذا هو أنا ، وما أن أبدأ فى التصرَّف بأسلوبك ، وأذكر له نقطة أو نقطتين ، مما انتقل إلىَّ من

ذاكرتك ، ومما لا يعلمه سواكما ، حتى يجد فى نفسه ميلاً لتصديق أننى ابنه الحقيقى .

زفر (نور) فى ضيق ، وهو يقول :

ــ يبدو أنك قد أعددْت لكل شىء عُدَّته .

ابتسم الشبيه ، وهو يقول :

ــ لا تنس أن عقلك أنت هو الذى يفكِّر يا صديقى .

وفَجأة اندفع (هشام) داخل الحجرة ، التى يجلس فيها الشبيهان ، وهو يهتف فى ذعر :

ــ رجال الشرطة يحيطون بالمنزل .. لقد التقطتهم شاشات المراقبة .. سينقضُّون على المنزل بعد لحظات ، لابدَّ أن نفرَّ من هنا قبل ..

قاطعه الشبيه ، وهو يقول فى برود :

ــ اهدأ أيها الرجل ، لقد كنت أعلم أنهم سيراقبون (نور) ، حتى يَصِلوا إلى هنا .

هتف (هشام) فى دهشة واستنكار :

ــ كَنت تعلم ؟! .. لماذا لم تخبرنى إذن ؟

ابتسم الشبيه ابتسامة مخيفة ، وهو يقول :

ــ لم يكن هناك داع لذلك أيها الرجل ، فلن يلقى رجال الشرطة القبض عليك أبدًا .

تضاعفت دهشة (هشام) ، وهو يهتف :

ـ ماذا تعنى بالله عليك ؟

أجابه الشبيه فى برود :

ـ أعنى ببساطة أننى أرفض أن أسمح لك بتكرار تجاربك السخيفة هذه ، التى وضعتنى فى هذه المأساة ؛ لذا فقد دمَّرت كل الوثائق ، التى سرقتها من الدكتور (منصور) ، وكل ما يتعلَّق بهذه التجارب البشعة ، ولم يعد هناك من يعلم أسلوب إنتاج الخلايا سواك .

اتسعت عينا (هشام) فى ذعر ، وهو يتراجع مغمغمًا :

ـ يا إلهى .. هل تنوى ... ؟

جاءته الإجابة على هيئة دفعة من أشعة الليزر ، اخترقت رأسه ، وأرسلته إلى حيث يلحق بضحيته (منصور) و (حازم) ..

وبكل ما يملأ قلبه من مرارة ، وبكل ما يعتصره من ألم ، قفز (نور) نحو خصمه ..

ونشب القتال بين (نور) .. و (نور) ..

★ ★ ★

كان ذلك الصراع هو أعجب وأقوى صراع اقتحمه (نور) ، فقد كان يقاتل نفسه ، وبنفس قوته ، وأسلوبه ..

كان القتال متكافئًا إلى حدّ نادر ، يستحيل حدوثه فى التاريخ كله ..

ولكنه لم يستمرّ طويلاً ..

لقد اقتحم رجال الشرطة المنزل فجأة ، وصوّبوا بنادقهم الليزرية إلى المتصارعَيْن ، وارتفع صوت الرائد (فهمى) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ كفى أيها السيّدان .. إننا نلقى القبض عليكما ، وأحذركما من ..

ابتلع الجزء الباقى من عبارته ، مع غصة شديدة فى حلقه ، واتسعت عيناه فى ذهول ، وانتقل الذهول إلى كل رجال الشرطة المرافقين له ، حينما التفت إليهما الخصمان ..

كان الموقف مخيفًا ، مذهلاً ..

كان هناك رجلان ، من المستحيل التفرقة بينهما ..

رجلان هما (نور) و (نور) ..

وَحدَّق رجال الشرطة فى الوجهيْن بذهول ، قبل أن يشير أحد الخصمين إلى خصمه ، صائحًا :

كان ذلك الصراع هو أعجب وأقوى صراع اقتحمه (نور) ، فقد كان يقاتل نفسه

ــ ألقوا القبض على هذا الرجل .. إنه زائف .

وهنا هتف الآخر :

ــ لا تصدّقوا ادّعاءه .. إنه هو الزائف .

ظلَّ الجميع يحدّقون في وجْهَي الشبيهَيْن في ذُهول ، وهما يتبادلان الاتهامات ، قبل أن يعقد الرائد (فهمى) حاجبيه ، وهو يقول في صرامة :

ــ سنترك تحديد مَنْ منكما الأصليّ ، ومنِ الزائف ، للخبراء .. أمّا الآن فأنا ألقى القبض عليكما معًا .. إننى ألقى القبض عليك يا (نور) .. وأنت يا .. يا (نور) .

* * *



٩ ــ مَنْ (نور) ؟ ..

« مذهل !! .. إنها أعجب قضية واجهناها ، فى تاريخ المخابرات العلمية كله ! » .

نطق القائد الأعلى للمخابرات العلميّة هذه العبارة فى ذهول حقيقى ، جعل الدكتور (عبد الله) يقلّب كفيه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ــ إنهما متطابقان على نحو مذهل يا سيِّدى ، وتطابقهما يتجاوز الصوت والملامح ، إلى تطابق البصمات ، وتحاليل الدم ، وتوزيع المسام العرقية ، وبصمات قزحية العين ، وحتى فى صور أشعة العظام والمخ .. إنه تطابق مذهل ، يتجاوز كل القواعد العلمية المعروفة ، وكلاهما يصرّ على أنه (نور) الحقيقى ، ولقد اتفقت قصتهما عن تجارب الإثبات الخلوى ، التى كان يجريها الدكتور (منصور) ، قبل مصرعه .

عقد القائد الأعلى حاجبيه ، وهو يقول فى حَيْره :

ــ هذا يبرئ (نور) الحقيقىَ من تهمة الخيانة بالطبع ، ولكن الآخر سيدان بتهمة الخيانة العظمى ، وسيكون الإعدام هو مصيره الحتمى ، ولكن كيف يمكن التفرقة بينهما ؟

غمغم الدكتور (عبد الله) فى يأس :

ــ لقد عجزنا عن ذلك تمامًا يا سيِّدى .

صمت القائدَ الأعلى طويلاً ، وهو يفكِّر فى الأمر بعمق ، ثم لم يلبث أن التفتَ إلى الدكتور (عبد الله) ، قائلاً :

ــ أعتقد أن رفاق (نور) هم أقدر من يمكنهم التفرقة بينهما يا دكتور (عبد الله) ، وأملنا الوحيد ، فى عودة الأمور إلى مجراها الطبيعى ، هو أن نعلم أيهما (نور) ، وأيهما خليته .

وعاد إلى صمته لحظة ، قبل أن يردف فى صرامة :

ــ وسنجرى هذه المحاولة الأخيرة ..

★ ★ ★

وقف أفراد فريق (نور) ، إلى جوار الدكتور (محمد حجازى) ، ينقلون أبصارهم فى ذهول ، بين (نور) و (نور) ، قبل أن تغمغم (سلوى) :

ــ مستحيل .. لا يمكن التفرقة بينهما البتة .

قال أحد الشبيهين فى هدوء :

ــ كم يحزننى هذا يا عزيزتى (سلوى) ؟ .. كان ينبغى أن يجد قلبك الجواب ، هل نسيت شهر العسل الرائع ، الذى قضيناه معًا فى (بلطيم) ؟

أسرع الآخر يقول :

ـ لا تجعل هذا يخدعك يا (سلوى) .. إنه يحمل ذاكرتى كما تعلمين .

نقلت بصرها بينهما فى حَيْرة ، ثم أخفت وجهها فى راحتيها ، وهى تغمغم فى ألم :

ـ مستحيل !! مستحيل !! لا يمكن التفرقة بينهما أبدًا .

قلب (رمزى) كفيه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ـ حتى التحليل النفسى لن يفلح فى التفرقة بينهما ، فهما كائن واحد .. يا إلهى ! .. لم أشعر بمثل هذا العجز من قبل .

عقد الدكتور (حجازى) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ أعتقد أننى أملك نقطة للتفرقة بينهما ، فـ (نور) الحقيقى مصاب بطعنة مُدْيَة فى ذراعه .

أسرع أحد الشبيهين يكشف عن ذراعه ، ويشير إلى جرح واضح فيه ، وهو يقول :

ـ ها هو ذا .

كشف الآخر عن ذراعه بدوره ، وهو يهتف :

ـ أنا أيضًا عندى نفس الجرح .. لقد اتخذ ذلك الوغد أهبته لذلك .

انتقلت الحَيْرة إلى الدكتور (حجازى) ، وهو يقلب بصره بين الجرحين ، قبل أن يغمغم فى يأس :

ـ يا إلٰهى !! .. هذا يزيد الأمر تعقيدًا ..

ران صمت ثقيل داخل الحجرة لحظات ، ثم قلب (محمود) كفيه فى حَيْرة ويأس ، وهو يقول :

ـ إنها مهمة مستحيلة يا رفاق .. كيف يمكن التفرقة بين رجلين ، يتطابقان فى كل شىء ، حتى فى ذاكرتهما .

وفجأة هتف أحد الشبيهين :

ـ يا إلٰهى !! .. شكرًا لك يا (محمود) .. لقد منحتنى خيط النجاة دون أن تدرى .

ثم استدار نحو الآخر ، أمام العيون الذاهلة ، وهو يقول فى سخرية :

ـ صحيح أنك تحمل ذاكرتى يا شبيهى ، ولكن تلك الذاكرة التى تحملها تتوقَّف عند اللحظة التى انتزعت فيها خليتك الأولى من جسدى ، أما بعد ذلك ، فستحمل ذاكرتك أحداثًا جديدة ، تخالف ما ستحمله ذاكرتى أنا .

لم ينجح شبيه (نور) فى إخفاء شحوبه ، وهو يغمغم :

ـ هراء .

ابتسم (نور) الحقيقى فى ثقة ، وهو يقول بتحدٍّ :

ـ لا بأس .. هل يمكنك أن تخبرنى كيف نجحت فى الهروب من زنزانتك الإليكترونية ؟

ارتبك شبيه (نور) ، وهو يغمغم :

ـــ إنه أسلوب سخيف .. إننى أرفض هذا الـ ..

قاطعه (نور) ، وهو يلتفت إلى (محمود) ، قائلاً بابتسامة واثقة :

ـــ هل رأيت يا صديقى (محمود) ؟ .. إنه لا يذكر شيئًا عن مستقطبك الليزرى .

تهللت أسارير (محمود) ، وهو يهتف فى سعادة :

ـــ يا إلهى !! .. أنت (نور) .. أنت (نور) الحقيقى .

انتقلت سعادته إلى قلوب الجميع ، وألقت (سلوى) نفسها بين ذراعى زوجها الحقيقى ، وهى تبكى فى فرح ، وتهتف فى سعادة :

ـــ حمدًا لله .. حمدًا لله يا (نور) .

أمّا شبيه (نور) فقد شحب وجهه فى شدة ، وهو يغمغم فى كراهية :

ـــ ها قد فزت بكل شىء أيها الرائد .

التفت إليه (نور) ، وهو يقول فى حزن :

ـــ كان يمكنك أن تفوز مثلى يا (نور) ، ولكن ..

قاطعه الشبيه فى حِدّة ، وهو يلوّح بذراعه :

ـــ لا تحاول .. لقد خُلقت للفناء منذ منبتى من خليتك .. ألم أقل لك إننى أخالف قوانين الطبيعة .

اتسعت عينا (نور) فجأة ، وارتسم فيهما الذعر لحظة ، قبل أن يعود ليغمغم فى حزن :

ـــ نعم يا جزءًا من جسدى .. أظن هذه هى الحقيقة ، وتحوّل صوته إلى بحر من الحزن ، وهو يردف :

ـــ لقد خُلقت للفناء .

★ ★ ★

نهض القائد الأعلى من خلف مكتبه متهلل الأسارير ، وصافح (نور) فى قوّة وحرارة ، وهو يقول :

ـــ تقبّل تهنئاتى أيها الرائد .. لقد نجوْت هذه المرّة أيضًا بفضل عبقريّتك .

غمغم (نور) فى حزن :

ـــ شكرًا يا سيّدى .. ولكن كيف ستسير الأمور ؟

عاد القائد الأعلى يجلس خلف مكتبه ، وهو يقول فى حماس :

ـــ لن يضار فريقك يا (نور) .. إن براءتك تعنى إسقاط كل التهم عن الآخرين ، فلن يدان الدكتور (حجازى) بتهمة

إختفاء هارب ، ولن يدان أفراد فريقك بتهمة معاونتك على الهرب ، وسنعيد النظر فى وسائل الأمن داخل الإدارة .. كل شىء سيسير على ما يرام ، ومرحبًا بك مرة ثانية بين صفوف المخابرات العلمية .

سأله (نور) فى مرارة :

ـــ كنت أقصد كيف ستسير الأمور بالنسبة له ؟

صمت القائد الأعلى لحظة ، ثم سأله فى خفوت :

ـــ هل يقلقك أمره ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـــ لا تنس أنه جزء منى يا سيِّدى .

مطّ القائد الأعلى شفتيه فى أسف ، وهو يقول :

ـــ لقد اعترف بكل شىء يا (نور) ، وأدين بتهمة الخيانة العظمى ، وسيعدم بالطبع .

ظهر الأسى على وجه (نور) ، وهو يقول :

ـــ أما من وسيلة لتخفيف الحكم ؟

هزّ القائد الأعلى رأسه نفيًا ، وهو يغمغم :

ـــ القانون هو القانون يا (نور) .

رفع (نور) إلى قائده عينين ضارعتين ، وهو يقول :

ـــ هل يمكن تأجيل موعد إعدامه لشهر واحد يا سيِّدى ؟

عقد القائد الأعلى حاجبيه فى حيرة ، وهو يقول :

ـــ نعم يا (نور) .. هذا ممكن ، ولكن لماذا ؟

تردّد (نور) لحظة ، ثم قال :

ـــ إنه لم يخطئ ، حينما قال إنه قد خُلق ليفنى يا سيِّدى ، وإن وجوده يخالف قوانين الطبيعة .. لقد تذكَّرت فجأة كلمة نطق بها الدكتور (حازم) ، مساعد الدكتور (منصور) ، قبل أن يلقى مصرعه .. لقد اندفع إلى حجرة أستاذه هاتفًا بعبارة ما ، بشأن الجرو الآخر ، الذى تمّ إنباته من خلية مأخوذة من الجرو الأوَّل ، ولكن (هشام) لم يمهله ليتم عبارته ، ولقد تذكَّرت تلك الواقعة ، فسافرت صباح أمس إلى (أسيوط) حيث كشفت أن الجرو الآخر قد لقى مصرعه فجأة .

رفع القائد الأعلى حاجبيه فى دهشة ، وهو يغمغم :

ـــ لقى مصرعه ؟ !

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال فى حزن :

ـــ إنهيار خلوىّ يا سيِّدى .. لقد نما الجرو الآخر من خلية واحدة ، وبسرعة خارقة ، ولم تحتمل خلاياه ذلك النشاط الفائق طويلاً ، فلم تلبث أن انهارت تمامًا بعد أن استقرّ نموها ،

ولقى الجرو مصرعه ، وأعتقد أن هذا ما سيحدث لشبيهى أيضًا ، بعد عشرة أيام على الأكثر ، ولعل هذا أيضًا هو سبب اختلاف شخصيتينا ، على الرغم من أننا نعود إلى مصدر واحد .

ران الصمت لحظة ، ثم غمغم القائد الأعلى فى خفوت :

ــ هل تريد أن تجنّبه الإعدام يا (نور) ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال فى حزن :

ــ ستعدم خلاياه نفسها يا سيّدى .. وهذا أقل قسوة .. وأكثر رحمة بالجميع .

★ ★ ★



١٠ ــ الختام ..

تسلّلت أشعة الشمس الدافئة إلى حديقة منزل (نور) ، وداعبت وجه (نور) ، الذى استرخى فى مقعد قماشى ، يتطلّع بعيدًا فى شرود ، واقتربت منه زوجته (سلوى) ، ووضعت كفها على كتفه ، وهى تغمغم فى رِقّة وحنان وحزن :

ــ لقد انتهى الأمر يا (نور) .

التمعت فى عينيه دمعة حزينة ، وهو يقول دون أن يلتفت إليها :

ــ متى ؟

أجابته فى إشفاق :

ــ منذ ساعة واحدة .. انهارت خلاياه فجأة كما توقّعت ، ولقى مصرعه فى هدوء .

سالت من عينيه دمعة صامتة حزينة ، رقّ لها قلب زوجته ، وهى تجلس إلى جواره ، مغمغمة فى عطف :

ــ كانت هذه هى نهايته الحتميّة .. أليس كذلك ؟

أومأ برأسه إيجابًا فى صمت ، فعادت تقول :

ــ هل تشعر بالحزن من أجله ، بعد كل ما فعله بك ؟

أجابها فى حزن شديد :



واقتربت منه زوجته (سلوى) ، ووضعت كفها على كتفه ، وهى تغمغم فى رقة وحنان وحزن :

ـــ لقد انتهى الأمر يا (نور) .

ـــ إنه جزء من جسدى يا (سلوى) ، وشعورى نحوه يشبه شعور الأب نحو ابنه .

صمتت فى حزن مشابه ، وطال صمتها لحظات ، قبل أن تغتصب هى ابتسامة ، وتقول :

ـــ هل تعلم أن (مشيرة محفوظ) قد رفضت رفضًا باتًا إذاعة البيان ، الذى يطالب المواطنين بالابلاغ عنك ؟

ابتسم ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

ـــ عجبًا !! .. ألا تشعرين بالغيرة لذلك ؟

ضحكت ، وهى تقول :

ـــ نعم ، خاصةً بعدما أبلغنى به (رمزى) منذ لحظات .

جذبت عبارتها انتباهه ، فالتفت إليها يسألها فى اهتمام :

ـــ وما الذى أبلغك به (رمزى) ؟

تألّقت ابتسامة خبيثة على شفتيها ، وفى عينيها ، وهى تقول :

ـــ خمّن !! ..

ثم أطلقت ضحكة مرحة رقيقة ..

★ ★ ★

ابتسمت (مشيرة محفوظ) ، صحفيّة أنباء الڤيديو

الشهيرة ، وهى تستقبل (رمزى) ، وصافحته فى حرارة ، وهى تقول :

ــ مرحبًا بك فى (أنباء الفيديو) يا (رمزى) ، كيف حالك ؟ .. وكيف حال (نور) بعد إثبات براءته ؟

ابتسم (رمزى) وهو يقول :

ــ الجميع فى خير حال يا (مشيرة) ، ويبلغونك شكرهم وامتنانهم .

رفعت حاجبيها فى دهشة ، وهى تقول :

ــ شكرهم وامتنانهم ؟!

ثم ضحكت فى رِقّة ، وهى تستطرد :

ــ وماذا فعلت لأستحق ذلك ؟

أدهشتها تلك النظرة الحانية ، التى ارتسمت فى عينيه ، وهو يقول :

ــ ألا يكفيك أنك قد رفضت إدانه (نور) منذ البداية ؟!

شعرت بدماء الخجل تتصاعد إلى وجنتيها ، فاسترسلت تقول :

ــ إننى لم أفعل سوى ما أومن به يا (رمزى) .. إننى لا أفعل دائمًا إلّا ما أومن به .

مرة أخرى أدهشتها نظرته ، ودفعت دماء الخجل إلى وجنتيها ، وهو يهمس فى حنان :

ــ هذا هو أروع ما فيك يا (مشيرة) !!

خفت صوتها حتى بات أقرب إلى الهمس ، وهى تسأله :

ــ ماذا تريد بالضبط يا (رمزى) ؟

نهض من مقعده ، وتقدّم نحوها ، وتطلّع إلى عينيها مباشرةً ، على نحو بعث فى جسدها رَجْفَة قوّية ، وهو يقول :

ــ (مشيرة) .. لقد حرصت منذ تعارفنا على أن أخفى عنك حقيقة مشاعرى ، ولكننى ، وبعد موقفك من اتهام (نور) ، قرّرت أن أصارحك بالأمر .

وامتلأ صوته بحنان وحب جارفين ، وهو يهمس :

ــ هل تقبليننى زوجًا يا (مشيرة) ؟

تصاعدت دماء الخجل هذه المرّة لتغمر وجهها كله ، وشعرت بقلبها يخفق فى قوّة ، وهى تهمس :

ــ هل يعنى هذا أن أنضمّ لفريق (نور) ؟

ابتسم وهو يهمس فى حُبّ :

ــ بل إلىّ وحدِى ..

صمتت ، وصمت ، وكان صمتهما أبلغ من أى حديث ..

وكان هذا هو التغيير الوحيد الذى حدث فى حياة (نور) وفريقه ، بعد انتهاء عملية (العدوّ الخفىّ) ..

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٢١٥